٥٤٨

548

دار م. النحاس

HARLEQUIN

قلوب عبير

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الحب الملتهب

كاتي وليامز

الحب الملتهب

كاتي وليامز

كانت مارني شابة وساذجة عندما التقت للمرة الأولى رئيسها هولدن غراي ستون... الذي اغـــرمت به بجنون. ولكن الحب الرومانسي تقد تحول بسرعة الى مرارة واتهامات متبادلة، تخلت ماري عن حبها وقد عاهدت نفسها على انها لن تعود اليه ابداً. ومع ذلك، وبعد مرور ثلاث سنوات، وجدت نفسها في وضع بائس ولا منقذ لها سوى هولدن. وهكذا تخلت عن عهدها... متاكدة انها ستندم على ذلك... ولكن ما هو خيارها طالما حياة ابنتهما على المحك؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال.

«اشعر وكأن لا معنى لحياتي.»

قال هولدن هذا بخشونة فشعرت برجفة من الشوق المتزايد في بحة صوته.

قالت ماري بصراحة: «وأنا أيضاً.»

قال: «املك هذه الباخرة، ولدي الكثير لاجعلك تتوقفين عن العمل، وهكذا تستطيعين قضاء كل وقتك معي.»

أجابته وهي تضحك: «انها فكرة سيئة جداً.» إذ جال في فكرها ما الذي سيحل بها بعد رحيله.

كاتي وليامز

ترعرت كاتي وليامز بين جزيرتين هما ترينداد وتوباغو. ولقد حصلت على منحة للدراسة في بريطانيا. ثم التحقت بجامعة اكستر سنة ١٩٧٥ لمتابعة دراستها بأكثر ما تحب في حياتها الأدب واللغات. هناك التقت بزوجها ريتشارد ومنذ زواجهما تعيش كاتي في انكلترا، وبالطبع في تايمز فالي ولكن انتقلت مؤخراً الى مدلاندز. ولدى كاتي وريتشارد ابنتين صغيرتين.

٥٤٨

khouloub Abir 548

الحب الملتهب

كاتي وليامز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

انها الثانية بعد الظهر، الآن، وهنا بالذات، ما كانت ماري لتتخيل انها قد تتواجد في مكان افضل، فكان وكأنه الحلم.

ها قد مضى بضعة ايام على وجودها على متن الباخرة، ومع ذلك فقد انسابت لتدخل نعمة راحة البال التي كانت نتيجة لوفرة الشمس الساطعة والسماء الزرقاء والطعام الشهي وبالطبع البحر الاخاذ.

كانت تقف على متن المركب، بثوبها المعد للعمل، برمودا اصفر اللون وقميص رمادي مع علامة صغيرة على الجيب (غ هـ). اغمضت عينيها عن اشعة الشمس المنعكسة على صفحة البحر الذي كانت السفينة تتهادى عليه تاركة خيوطاً بيضاء وراءها. لقد كانت دائماً تحب البحر. المنطقة الساحلية التي امضت فيها طفولتها ما تزال ذكراها حية في داخلها حتى بعد وفاة والديها، منذ حوالي سبع سنوات وانتقالها للعيش في لندن مع قريبة لها. والآن اصبحت تفهم كيف تتأثر الناس بتغير الأجواء. ولذلك فهي ترغب بان ترمي كل احزانها جانباً وتعيش ساعتها الحاضرة في مركب متوجه إلى اللامكان.

لقد كانت ضربة من الحظ الرائع ان توفق بالعمل على متن سفينة هولدن غراي ستون. فلقد سئمت العيش في لندن وكانت اشد سأماً في العيش مع عمتها التي لم تشعرها يوماً انها سعيدة بوجودها في شقتها الصغيرة. لذلك لم تتخل عن

أول فرصة ملائمة للهروب قبل دخولها معترك العمل الجدي.

عندما تفكر بالأمر، تعجب لنفسها كيف استطاعت اقناع الوكالة بأنها الفتاة المناسبة للعمل على متن الباخرة اذ لم يكن لديها اي خبرة بالعمل كنادلة، عملها الحالي، مع العلم ان العمل هنا مختلف عن العمل العادي في اي مطعم. وهي لا تملك الخبرة بالعمل على متن السفن، مع انها كانت محاطة بمياه البحار طوال اربعة عشر عاماً هي الآن في الواحد والعشرين من عمرها من دون أي تجارب مفيدة في حياتها. ولذلك ذهلت عندما وافقوا على طلبها.

قالت عمتها بلهجتها القاسية: «كان عليك الحصول على عمل افضل هنا وذات أجرٍ أحسن، فما هي الغاية من ضياع الوقت قبل البحث عن عمل جدي؟ فالسنوات الأربع في الجامعة كافية لتضييع الوقت. أم انك تعتقدين اننا لسنا بحاجة للمال؟ هذا العمل نوع من التهرب من مسؤولياتك، أليس كذلك؟ كنت اعتقد انك ستجدين طريقة لتخفيف الاعباء المالية عن كاهلي، اعتباراً عما صرفته عليك في السنوات الأربع الماضية على طلبات لا تنتهي.»

حاولت ماري ألاّ تبدو مضطربة، فالنقاش ليس ما تهواه عمتها، ولقد علمت ذلك منذ عهدها بها، فيجب عليها ان تبقى صامتة ومهذبة على أي كلام تقوله لها. فقد اخبرتها تماماً انها لا تقبل أي اعتراض.

قالت ماري بصدق: «باستطاعتك الحصول على كل ما اتقاضاه من هذا العمل.» فعلى الرغم من كل اخطائها، لقد فتحت لها بيتها بعد وفاة والديها وسمحت لها بمتابعة

تحصيلها الدراسي مع انها تعتقد ان الشهادات لن تحقق لها فائدة ما، فهناك الكثير من المتخرجين بدون عمل، وما تحتاجه ليس الا مهارة بعمل ما عوضاً عن شهادة عالية في اللغة لا تفيدها بشيء في حقل العمل.

قالت عمتها باحتقار: «لم اكن افكر بالأمر البتة، ولن اريد ان اقول احتفظي به جانباً للأيام السوداء، وليس لي ان اذكرك بأن الحياة مليئة بالأيام العصيبة.»

وهكذا، لم يكن الوداع قاسياً كما كانت تتوقعه، فلقد افترقا موقتاً، مع شعور بالراحة لكليهما وهما تتعانقان. وها هي الآن، بعيداً مع المدى الأزرق، وشعرها يتطاير مع النسيم على كتفيها، وحرارة الشمس حولت خديها إلى لون ذهبي رائع، ففي هذا الجزء من المكان كل شيء رائع، وليس عليها الا تقديم الشاي في قاعة الطعام عند الثالثة والنصف، والمساعدة في قاعة الاحتفال في المساء وبالطبع تقديم أي عون في المطبخ عند الحاجة.

امضت نصف ساعة على متن السفينة، تتحدث مع بعض الضيوف الذين باتوا يعرفونها الآن، ثم عادت إلى قاعة الطعام.

كانت الباخرة بعيدة عن مظاهر الرخاء، ولقد انقذت من وضع مزري من الشركة المفلسة التي كانت تديرها بواسطة المنافس الثري الذي اهتم بها واعاد اصلاحها من جديد. ففي خلال عدة اشهر، عادت إلى مكانة مناسبة، وقد علمت ماري بكل هذا من اشخاص عدة من افراد طاقمها كانوا يعملون عليها في ذلك الوضع المزري كما انهم يشعرون بالامتنان لذلك الرجل الذي خلصهم من الوقوف في صفوف

طلباً للمساعدة أو للعمل. وبطبيعة الحال، لقد منحها فرصة للابتعاد عن عمتها، واعطاها إجازة حلم من السعادة قبل الغوص في معترك العمل. وكم كان يسعدها ان تبدي هذا الاحساس المفعم بالامتنان لذلك المالك المجهول وكأنه على وشك القيام بصفقة فخمة ولا يملك المال الكافي لتحقيقها كما سمعت عنه.

كانت قاعة الطعام خالية تقريباً، فمنهم مازالوا في مقصورتهم أو يتجولون في انحاء الباخرة، واما اللعب بالشطرنج أو القراءة على مقاعد مريحة.

يقدم الشاي في قاعة الطعام مع بسكويت محلى بالكريما الشهية مما يدعوك الى اخذ اكثر من قطعة قبل تذوقها. وكل انواع الشاي، البعض لم تسمع ماري به قبل انضمامها إلى هذه الباخرة، شاي بطعم الفواكه، شاي من الشرق الأقصى، كما كل الشاي المعروف في بريطانيا وكل هذه الأنواع، كانت معروضة للعيان.

ترعرت ماري على طرق قاسية وصارمة فيما يتعلق بالطعام وتابعت عمتها هذا النمط من الكميات القليلة من الطعام على مبدأ الكمية القليلة تكفي أما الكبيرة فتذهب هدراً، واعتادت على التهام كل ما يقدم لها وان كانت لا ترغب به!

غير ان الحياة الجامعية اعطتها فرصة لتتخلص من هذه القيود الصارمة ولكنها كانت تعيش مع عمتها لأسباب مادية، وكانت واضحة معها كل الوضوح بأن كل ما تعطيه الجامعة من فرص للتحرر ينتهي امام باب بيتها الأحمر الصغير.

هنا في باخرة هـ. غرستون، كانت متعجبة من الافراط

في الطعام. فبعد تقديم الطعام لكل المسافرين، واخذ الطاقم حصة من الأكل كان يبقى الكثير منه للرمي. ولو قدر لها ان تتعرف على هذا الممول الثري، بما ان لا اسم له في الطاقم، لربما استطاعت تخليصه من كل هذا الاسراف.

اخذت الاعمال تتوالى في المطبخ، فالطهاة قد حضروا طعام العشاء، ووضعت الحلوى على الاطباق تحت الطلب.

نظرت جيسكا، إحدى الفتيات من عمر ماري والتي تعمل مثلها نادلة، اليها وهي تشير باصبعها إلى معدتها وسألتها: «بما تشبهين هذا؟»

نظرت ماري بجد وقالت بصوت واضح: «حسناً، لم اكن مجتهدة في مادة العلوم الطبيعية، ولكن اعتقد ان هذه هي معدتك.»

اجابت وهي تضحك: «انها ليست فقط معدتي، بل معدتي الجشعة. فهي لا تستطيع مقاومة كل هذه الاطعمة.»

ناولتها صينية من الحلوى لتضعها على المائدة.

قالت: «كيف سأتمكن من العمل إذا كنت التهم كل هذا الطعام.»

قالت ماري وهي تضحك: «تستطيعين تدبر الأمر، ستبدين اسمن طبعاً، ولكن ستبقين رشيقة الحركة.»

كانتا تضحكان معاً وتتبادلان الصواني. كانت جيسكا تمزح وماري تصغي إليها مبتهجة. فهي بطبعها متحفظة، خجولة، ربما بسبب تربيتها. وهنا على الباخرة، لا وجود للخجل، فالطاقم اعتبرها صديقة قديمة بسبب وجودهم معاً أربع وعشرين ساعة في اليوم، فالشعور بالمشاركة أمر لم تختبره من قبل، كونها الطفلة الوحيدة للعائلة، لقد كانت

سعيدة ولكنها وحيدة، دائماً بمفردها وعندما انتقلت إلى العيش مع عمتها لم يتغير شعورها بالوحدة، بالطبع كان لها اصدقاء في المدرسة وفي الجامعة أيضاً ولكن طفولتها كانت تفتقر إلى الصداقة ولقد اصبح الاعتماد على النفس جزء من شخصيتها. وبينما كان رفاقها يتبادلون النكات والمزاح كانت تنتحي جانباً تراقبهم ولا تفكر مطلقاً في مشاركتهم كل هذا الطيش.

ولكن، كان ينتابها شعور غامض وغريب ان كل احساس بالوحدة سيزول، بسبب الجمال الذي تملكه، وشعرها الاشقر الطويل، وعيناها الواسعتان البنيتان، وملامحها الدقيقة، حاول الكثير من الشبان التودد اليها، لكنها لم تكن في عجلة من امرها للبحث عن فارس احلامها.

في الحقيقة، ان هناك امر لم تعترف به، حتى ولا لنفسها، بأن جميع من التقتهم في الجامعة لم يجعلوها تشعر بأي احساس بالحب فهي تعلم ان الحب سيكون رائعاً، وعلى الرغم من اراء عمتها المتحفظة، فهي لن تغير رأيها.

امتلأت طاولة الطعام بالأواني الفخارية والصحون واباريق من عصير الفاكهة وقوالب الحلوى والأكواب. واخذت قاعة الطعام تضج بالمسافرين الذين كانوا يتوافدون على طلب ما يرغبون من المأكولات الشهية. ومما لا شك فيه انهم بعد ثلاثة اسابيع من التجول على متن السفينة، سيزداد وزنهم قبل العودة إلى ديارهم، ولكن كان هذا آخر ما يفكرون به، على اعتبار ان شعارهم، تمتع الآن وعاني لاحقاً.

اخذت ماري تهتم بالطاولات الممتدة امامها، تتحدث مع الضيوف وتلبي طلباتهم من الشاي أو القهوة. في البدء

كانت تشعر ان الأمر مربك، وعليها الانتباه كثيراً لتلبية الطلبات بدون خطأ. اما الآن، فقد اصبح الأمر اعتيادياً بالنسبة إليها.

سمعت صوتاً وراءها يقول: «من الممكن ان اطلب كوباً من المياه المعدنية.» كان صوتاً رقيقاً، متكاملاً جعلها تتورد خجلاً، استدارت بسرعة وفتحت فمها لتتكلم، بكل تهذيب طبعاً، ولكن التصقت الكلمات بحنجرتها.

كانت تحدق بتأثر برجل ذات وسامة لم تر مثلها في حياتها، كان يملك عينان رماديتان ممتزجتان باللون الأزرق، كلون البحر في الشتاء، واهداب كثيفة سوداء وشعر اسود داكن، اما ملامحه فقد كانت قاسية اكثر مما هي جميلة. كل شيء فيه ينم عن السلطة.

شعرت ماري انها ما زالت تحدق به بدهشة فانتبهت لذلك وقالت: «اننا نقدم عدة انواع من الشاي اللذيذ، وأيضاً قهوة، عصير اذا اردت.»

«انتم تقدمون كل ذلك، حقاً؟» لقد شعرت بالاستياء والحرج، واخذت تستعيد ما تعلمته في حال ان احد المسافرين حاول ازعاجها.

قالت: «إذا اردت اعلامي أين طاولتك، يسعدني ان احضر لك قائمة الطعام مع كل انواع العصير الموجودة هنا.»

قال وهو يبتسم: «كم انت كثيرة الاهتمام.» وشعرت بارتباك تجاه ابتسامة جعلت قلبها يخفق بعنف.

لم تكن معتادة على هذا النوع من الحوار، وشعرت بأن هناك من ينذرها بالخطر، واحست بالارتباك.

تحرك باتجاه احدى الطاولات، كانت تراقب خطواته

المختالة، ثم جلس واشار باصبعه باتجاهها. فاقتربت منه بحذر.

قال: «اريد ابريقاً من الشاي، لاثنين.»

«آه، طبعاً.» اخفضت رأسها وشعرت بخيبة امل كبيرة، اذاً، انه مع احدما، وهذه حقيقة، فلا يبدو انه من النوع الذي يسافر بمفرده، كما انه ليس بحاجة لمطاردة النساء ليحظى بصداقتهن.

قال وهو يحدق بها: «لديك الوجه الاكثر شفافية، أرى الافكار تطفو عليه بوضوح. كم تبلغين من العمر؟ السابعة عشر اما الثامنة عشر؟»

قالت وهي تنظر وراءها إلى جيسكا التي كانت تحدق بها: «انني في الواحد والعشرين، ولا اعتقد انني استطيع المضي في التكلم معك.»

«في الواحد والعشرين؟ أمر غريب.»

«ما هو الأمر الغريب؟»

قال: «معظم النساء في هذا العمر يصبحن متخمات بالتجارب، ولكن تبدين كورقة بيضاء لم يكتب عليها شيء. هل انا مخطىء؟»

مرة ثانية شعرت بالارتباك والحيرة فهذا النوع من الكلام لم تسمع به من قبل.

قالت بانزعاج ظاهر: «لم افكر بالأمر البتة. والآن، استميحك عذراً.» استدارت واتجهت ناحية المطبخ شاعرة بعينيه يتبعانها.

أمسكتها جيسكا عندما وصلت إلى الباب قائلة: «من هو؟ ومن اين أتى؟ لم يكن هنا الليلة الماضية. انا متأكدة من ذلك.»

اجابت ماري بارتباك: «لا اعلم من يكون.»

«الم يقل لك ما اسمه؟ فقد تكلمتما معاً وقتاً طويلاً. لا شك انه اخبرك باسمه.»

«اطلاقاً.» استجمعت قواها للعودة إلى غرفة الطعام مع بعض الطلبات، تبعتها جيسكا لتعبر عن حشريتها متمتمة.

«الشخص الغامض، امر جميل.»

قالت ماري وكأنها تذكرها: «انه ضيف ولديه صديقة.»

حاولت عدم النظر إلى طاولته، فلقد جعلها تشعر انها خرقاء. ولكنها استطاعت ان تخفي ذلك تحت قناع من رباطة الجأش. هذا الرجل قد اثر بها من غير ان يحاول ذلك، ولقد شعرت بالارتياح لأنه ليس بمفرده، وان علاقتهما يجب ألاّ تتعدى انه ضيف على هذه الباخرة وهي نادلة فقط.

شعرت بارتياح عندما عادت إلى المطبخ لأخذ صينية عليها شوكولا ساخنة لزوجين.

عندما عادت إلى قاعة الطعام، فوجئت ان صديقته، لم تكن شقراء وفارعة الطول كما كانت تتوقعها، بل امرأة ناضجة في الخمسين من عمرها، ذات مظهر ارستقراطي.

التقت عيناه بها وابتسم، تظاهرت كأنها لم تره.

عندما اخذت ابريق شاي لهما، لم تستطع النظر إلى وجهه.

قال بنعومة وهي تضع الإبريق على الطاولة: «لا اعتقد انني اعرف اسمك؟»

اجابت محاولة الابتسام بتهذيب: «ماري ستيفينز يا سيدي.»

قال باهتمام: «ماري ستيفينز، يا سيدي، اسم غير عادي.»

www.elromancia.com

نظرت إليه منزعجة ان تكون هدفاً لتسليته، اما المرأة الجالسة إلى جانبه فكانت تحدق بها ببرودة.

امسكت السيدة بذراعه وهي تقول: «عزيزي، دع الفتاة وشأنها، اشك انها تستطيع تحمل مزاحك.»

نظرت اليها نظرة غير محببة متعالية، لقد كانت جذابة ولا شك انها في شبابها كانت رائعة الجمال.

اجابت ماري: «بالطبع استطيع، فأنا اتقاضى راتبي من اجل الاهتمام بكل الأمور على الباخرة، بما فيها روح السخرية التي لا اجدها مسلية بالفعل.»

اجابت السيدة بصوت لا يخلو من العجرفة: «لا اهتم البتة بمعالجتك للأمور، يا صغيرتي.» واحست ماري ان عليها الاعتذار، فهذا ما تعلمته أيضاً قبل البدء بالعمل. فالزبائن دائماً على حق، حتى عندما يخطئون.

قالت بصوت خفيف: «اني آسفة حقاً.»

اشارت السيدة بيدها بطريقة ان هذا الأمر لن يحدث ثانية وتنهدت ماري براحة. فعملها مهم بالنسبة لها ولا تريد خسارته لأنها لم ترق لاحد الضيوف.

قالت بتهذيب: «هل هناك أمر آخر؟»

نظرت السيدة إلى الرجل بجانبها وقالت: «هولدن، هل تريد شيئاً آخر؟»

هولدن، اسم غير عادي كان جالساً على الكرسي باسترخاء ويداه متشابكتان، اصابع طويلة وذراعين قويتين يكسوهما شعر اسود يظهر على ساعته الذهبية. كان ينظر اليهما متكاسلاً، ولكن بفرح. فقد تسلى بالعرض الذي قدم لمصلحته الشخصية.

قال: «طبعاً اريد، ولكن ليس الآن.» نظر إليها من تحت رموشه السوداء الطويلة وتابع: «لا تبتعدي كثيراً.»

ابتسمت بلطف وقالت في نفسها لن ابتعد كثيراً بل ابعد مما استطيع.

بقيت بعيدة عن طاولته، وبطرف عينيها لاحظت ان السيدة نهضت وانصرفت بخطوات بطيئة ولكن رشيقة.

بقي جالساً إلى طاولته بينما انصرف الجميع. نظرت إليه من تحت اهدابها وشعرت بالقلق. من يكون؟ وما هي علاقته بتلك السيدة، انزعجت لتفكيرها بهذه الطريقة. مع ان كل الطاقم يتحدثون عادة بشؤون المسافرين، اموالهم، كيف يعيشون ويضعون لهم سيناريو خاص عن حياتهم، وكانت ماري فقط تستمع وتقهقه لنتائج ارائهم.

والآن ترى نفسها مضطربة بسبب شخص غريب غير احساسها. لو تعرضت جيسكا للأمر لكانت تعاملت معه بطريقة جيدة فلديها خبرة بينما هي، تبدو نقية كالثلج.

عندما رأته يشير إليها، تنهدت بعمق وحاولت الانتباه ان هذا العمل مهم جداً لها، اكثر من شخص غريب لا يعنيها.

قالت: «نعم؟» ثم اجبرت نفسها على الابتسام بطريقة ودية وتابعت: «بماذا استطيع ان اخدمك؟»

حدق بها مطولاً وابتسم متمتماً: «امر صعب، اليس كذلك؟»

قالت كأنها لم تفهم: «ماذا؟ ما هو؟»

قال بطريقة مسلية: «ان تكوني مهذبة لشخص تصرفه المرح تجدينه سمج وخالي من الفرح.»

«اعتذر اذا كان هذا ما يبدو علي.» لم تكن ترغب

بالاعتذار. كانت تشعر بالارتباك والقلق والرغبة في الابتعاد.

«اجلسي.»

قالت: «لا استطيع، التقرب من المسافرين أمر ممنوع.»

قال: «بالنسبة إلى... من؟»

«بالنسبة إلى الاشخاص الذين اعمل عندهم.»

قال: «في هذه الحالة، عليهم التعامل معي إذا لم يعجبهم الأمر.» لم يكن من النوع الذي يقبل الرفض لأوامره. علمت ذلك بسهولة من نبرة صوته، ومن طريقة اصداره للأمر.

ترددت ماري بعض الشيء ثم جلست، ولكنها لم تستطع مقاومة الالتفات حولها لتتأكد من ان رئيسها، هنري، ليس قريباً منهما.

قال هولدن ببساطة: «لا تقلقي لن يحدث شيء إذا جلست وتحدثنا قليلاً. ولكن اخبريني، هل انت دائماً بهذه العصبية؟»

اجابت بنفس طريقته: «وهل انت دائماً بهذا التسلط؟»

ضحك وقال: «كل الوقت.»

«في هذه الحالة اشعر بالأسى على الذين يعملون عندك.» لم تعلم لماذا قالت هذا، طالما لا تعرف هذا الرجل وماذا يعمل. ولكنها شعرت بأنه ليس من النوع الذي يتلقى الأوامر.

قال ببرودة: «انه لأمر مريح ان مرافقتي ليست هنا، لأنها كانت ستستاء من هذا الكلام كثيراً.»

«واعتقد انك تستمع إلى كل كلمة تقولها؟» قالت ماري ذلك وهي تشعر بالخوف، فإن لم تنتبه لكلامها فهذا يعني انها ستنحسر وظيفتها. ما علاقتي بهذا الرجل؟

تمتم قائلاً وهو ينظر اليها: «احاول ذلك. هنالك قلة من الناس اصغي اليهم وهي واحدة منهم.»

ارادت ماري ان تسأله، إلا انها هي من تدفع المصاريف؟ هل انت حارسها؟ شعرت بالاشمئزاز من الفكرة وادارت بوجهها. ثم قالت عوضاً عن ذلك: «هكذا إذن.» غير انها بقيت مضطربة.

قال بنعومة: «أنت تظنين انني مرافقها، وترين الفكرة مزعجة. لماذا؟ فالعالم مليء بالنساء اللواتي يعشن على كاهل ازواجهن بدون اي عمل يقمن به وكل العالم يقبل بذلك. فلما يجب ان يكون الأمر مختلفاً عندما تنقلب الادوار؟»

نظرت إلى عينيه الغريبتين المتوهجتين وشعرت وكأنها تغرق وقالت: «الأمر مختلف...»

قال: «ما هذا المنطق الغريب.»

نهضت وهي تقول: «أرى انك ستمضي النهار تناديني. ولكن لن ابقى هنا واتحمل المزيد. اعلم انك زبون على متن هذه الباخرة ولكن هذا لا يعطيك الحق باهانتي.»

«آه، اجلسي، لا احد يهينك.» كان يبدو سعيداً جداً بعصبيتها.

قالت: «علي الذهاب والمساعدة في اعمال المطبخ، على كل حال.»

قال وكأنه نفد صبره: «لن تعاقبي لأنك تتكلمين معي، ثقي بي.»

قالت بنعومة وهي تعاود الجلوس: «ولا حتى من مرافقتك؟»

قال بجدية: «آه نعم، ربما منها، اعتقد ذلك، فوالدتي

عديمة الشفقة بالنسبة إلى النساء اللواتي ترى انهن غير مناسبات لي.»

«والدتك؟»

رفع حاجبيه وكأنه دهش من تفكيرها ثم اجاب بنوع من السخرية: «بالطبع. ومن كنت تعتقدينها؟ آه، عفواً، لقد نسيت انك اعتقدت انني مرافقها.»

شعرت ماري بالاختناق. فهي مرتبكة وتشعر بأنها منقادة لهذا الرجل. فالثقة بالنفس التي تمارسها منذ سنوات قد تخلت عنها الآن وكلما تحاول الوصول إليها تراها تنزلق منها وتتركها بلا دفاع. قالت: «لم افكر بذلك مطلقاً.» نظرت إليه وبسرعة اشاحت بنظرها.

قال مفكراً لا، بالطبع لم تفعل... «والآن، ماذا لديك من عمل هذا المساء؟»

قالت: «ماذا! استميحك عذراً؟»

قال: «الليلة، اتوقع انك ستساعدين في بعض الاعمال بعد العشاء، ولكن بعد ذلك ماذا ستفعلين؟»

قالت: «بعد ذلك؟ لا شيء، سأراقب عرضاً في قاعة الاحتفالات من المقاعد الخلفية. لان هناك كوميدي مشهور الليلة.»

«لنلتقي على ظهر السفينة.»

قالت: «لا اعتقد انني استطيع.» انذار قوي سمعته بوضوح فهي لا تمانع ان تتعرف إلى انسان وتغرم به، ولكن هذا الرجل ليس من طبقتها. كما انه اخبرها انها ليست من النوع الذي يرضي والدته ومع كل هذا كانت تشعر باندفاع تجاهه.

سألها بوضوح: «لمَ لا؟»

«حقيقة لا استطيع، قد اخسر عملي إذا...»

«انني اتكلم عن التحدث قليلاً على متن السفينة وليس اكثر من ذلك.»

اجابت: «اعلم ذلك، ولكن في الحقيقة لا استطيع.»

نظر إليها بامعان وقال: «حسناً، حسناً، إذا كنت تفضلين اعتبري ذلك امراً من رئيسك.»

رفعت نظرها باستغراب وقالت: «ما الذي تتحدث عنه؟»

قال بهدوء: «انا هو رئيسك، انا هولدن غراي ستون، واملك هذه الباخرة.»

سألته: «بالطبع لا؟ هل حقاً انت؟ ولكن ان كنت حقاً فلا بد... ان الجميع هنا يعرفك.»

«لمَ عليهم معرفتي؟ انها المرة الأولى التي يروونني فيها، ولقد، طلبت من القبطان ان يبقي الأمر سراً. فأنا اريد ان أرى الأمور على حقيقتها بدون تكليف.»

اعترضت قائلة: «هذا ليس منصفاً.»

نظر إليها بامعان وقال: «عندما تتعلق الأمور بالاعمال، كل شيء منصف. فالعمال من طبيعتهم ان يغيروا تصرفاتهم امام رؤسائهم. ولذلك لا اريدك ان تخبري احداً بما قلت لك. لقد وصلت مع والدتي الليلة الماضية بواسطة طوافة، وكما يعتقد المسؤولون، انني تأخرت عن الرحلة بسبب مرض احد افراد العائلة. وهكذا اتأكد بنفسي من مهارة الطاقم.»

سألت ماري بحيرة: «إذن، لماذا تخبرني كل هذه الأمور؟»

«بسبب...» صوته كان خفيفاً وهامساً: «انك تعجبينني

وارغب بالتعرف إليك اكثر، وإذا اردت ذلك، عليك الكف عن التصور انك ستتعرضين للمشاكل كلما نظرت ناحيتك أو كلمتك.»

«ولكن والدتك...»

قال: «أمي تعتقد انها تستطيع التحكم بحياتي ولكن، في الحقيقة لا.» كان يبتسم ونبرة صوته واضحة وصارمة. شعرت كم هو رائع في الاوقات الصعبة. وان من الصعب معارضته.

اخذت تفكر في كل ما مر معها، هولدن غراي ستون، كلامهما نوع من احلام اليقظة. وانها في كل لحظة ستفتح عينيها سوف تكتشف انها تتخيل كل هذه الأمور.

كانت تقف على ظهر السفينة المهجورة لأن الجميع كانوا يتابعون العرض المسلي، اما هي فما زالت تسبح في عالم خاص بها، وكانت تعلم انها ان لم تكن يقظة ستجد نفسها تغرق بدون أي أمل بقارب النجاة.

فهولدن غراي شاب رائع ذكي وكامل الثقة بنفسه.

نظرت إليه خلسة، تحت ستار الليل، كان وجهه ضائعاً في المدى البعيد. في تلك اللحظة ادار بوجهه والتقت عيناهما. شعرت ماري بأن قلبها يترنح. ترى بماذا يفكر؟ ماذا يدور في رأسه؟ شعرت انها لا تستطيع التوقف عن التحديق به.

لا تتذكر بماذا تحدثا خلال الساعة الماضية، ولكن تعلم انها تكلمت كثيراً، فلديه طريقة رائعة لحثها على الكلام تجعلها تشعر بالسعادة، وبالقلق في ذات الوقت.

كانت تسمع صوت الموج يضرب بقوة جوانب السفينة

وكان الهواء ناعماً ومنعشاً يتلاعب بشعرها. وكان يصعب عليها التفكير في ان هنالك اكثر من مئتي شخص في هذه السفينة. فقد كانت تشعر انها هي وهولدن هما الوحيدان في العالم اجمع.

لم تكن تشعر بان للحب كل هذه القوة في المشاعر، كانت سعيدة ان تكتشف هذه المشاعر للمرة الأولى ومعه بالذات.

قال وهو يبتسم: «انت جميلة، وبالتحديد، لم اقابل احداً مثلك في حياتي كلها.»

سارا معاً إلى داخل السفينة بصمت، كانت تشعر انها على شفير اكتشاف شيء جديد، ربما ذاتها.

قال: «سترسو الباخرة غداً في غرينادا، سنخرج للغداء في احد المطاعم، وسنتحدث.» كانا يقفان امام مدخل الغرف ولم يشعرا بالناس التي كانت تتنقل هنا وهناك.

ضحك وهو يقول بنعومة: «انك تشبهين غزالاً شارداً، ولا اريد ان افقدك.»

تركها وغادر اما هي فبقيت واقفة مكانها، تتأمل النجوم، القمر والبحر الرائع.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

اعتادت ماري منذ وفاة والديها على نوع من الكوابيس اثناء نومها، وكأنها تقع من مكانٍ عالٍ، وكانت تستيقظ دائماً قبل الوصول إلى الأرض وهي ترتجف وتسعى جاهدة للسيطرة على هذا الكابوس ونسيانه.

والآن، برفقة هولدن، فهي تعيش هذا الشعور ولكن من غير أحلام.

رست الباخرة بغرينادا اليومين. وتوافد المسافرون على اعتمار قبعاتهم الكبيرة والاهتمام بالكريم الواقي لشمس. وتوجهوا إلى الأسواق لتنشق الهواء الطبيعي البعيد عن الهواء المكيف في الباخرة.

كان عملاً أخرق منها أن تتخلص من الذهاب مع جيسكا إلى السوق لشراء بعض الهدايا للذكرى ولكنها تدبرت امر خروجها مع هولدن إلى أحد الشواطىء البعيدة.

ها هي الآن في المطبخ تعمل وهي تبتسم عندما تعاودها الذكرى كم تحدثا، فهي تتذكر الحديث الذي دار بينهما بكل تفاصيله. تذكر نظراته وتأمله فيها عندما أخذت تمشي على الشاطىء وترسم بقدميها دوائر على الرمال اخذ يراقبها وهو يضحك.

كانت الشمس دافئة، والنخيل والبحر أمر غير مألوف بالنسبة اليه. فلقد اخبرها انه قدم إلى الجزر الكاريبية مرات عدة. بعكسها تماماً، فهذه الأماكن الرائعة الجمال لم

يكن بمقدور أهلها تأمين هذه الرفاهية لها، فالرحلات الوحيدة التي كانت تذهب إليها، فقط استئجار كوخ ما في البراري في لايك دستركيت.

غرينادا بشاطئها البديع وزهورها الرائعة كانت بالنسبة لها كالحلم، فهي ترغب بالسير على هذا الشاطىء، وترى ان وجوده جزء مهم من هذه المتعة.

لم تصدق كيف كانت تتصرف كما يحلو لها بدون حسيب او رقيب. فقد شعرت وكأنها عادت طفلة تلهو على الشاطىء.

أعادتها جيسكا إلى الأرض بسرعة وهي تقول: «مهما كان نوع الكوكب الذي تهيمين حوله عليك العودة حالاً إلى مركب غراي ستون والا هنري سيجعلك تخدمين مطولاً بعد العشاء. لكن ما بك؟ اتحلمين في النهار؟»

أجابت ماري: «لم أكن أحلم البتة.» وأخذت تعاونها في عملها.

قالت جيسكا وهي ترفع صوتها لكي تسمعها: «لا؟ وما هذا اذاً، نوع من التخاطر تتعلمينه؟»

ضحكت عالياً من كلامها مما جعل ماري تضحك هي أيضاً.

قالت بفرح: «نعم هو ما تقولينه، انه امر مريح.»

لم يكن هولدن في قاعة الطعام، كان يتباحث بأمر ما مع القبطان، والدته كانت تجلس إلى طاولتها المعتادة، كانت ماري تلاحظها بقلق. لم يكن هناك ودٌ بينهما منذ اللحظة الأولى.

أمضت ساعتين من الوقت وهي تخدم بين الطاولات والمطبخ باهتمام وعناية أما فكرها فقد كان يجول باهتمام عما حدث معها في الأيام القليلة الماضية. كانت لا تزال

تشعر بالمتعة بالعمل على ظهر السفينة. ولكن هذه المتعة كانت فوق توقعاتها. فقد شعرت أنها ستكتشف أمراً جديداً يغير وجودها.

أخلى معظم المسافرين القاعة، وقدمت القهوة بعد الغداء، والاستعراض الفني في المسرح كان على وشك الابتداء وهذا هو امتع الأوقات بالنسبة لها، الوقت الذي تستطيع فيه ان تحلم براحتها. وبعد العاشرة والنصف تستطيع التوجه إلى متن السفينة.

ابتسمت للفكرة، لمجرد رؤية هولدن الذي وعدها بان يلتقيا بعد ساعة، فنظرت حولها ولمحت عينا السيدة غراي ستون، واشارت لها بيدها. حاولت ماري ألاّ تبدو خائفة وهي تقترب منها. كانت السيدة غراي ستون ترتدي كالعادة ثياب تدل على اناقتها وثرائها.

اجبرت ماري نفسها على الابتسام وقالت: «مساء الخير. هل هنالك شيء استطيع تقديمه لك؟ قليلاً من القهوة، ربما؟»

«لقد اخذت حصتي من القهوة. واذا تناولت اكثر اعاني من مشاكل في النوم.»

ارتاحت ماري قليلاً، فنظراتهما باردة كالثلج ولكن الحديث ما زال ودياً.

قالت: «نقدم نوعاً من القهوة خالٍ من المنبهات.» نظرت اليها السيدة من غير ان تطرف عيناها.

«لا، يا عزيزتي، لا اعتقد ذلك، انا امقت هذا النوع من القهوة فلا طعم له.»

شعرت ماري كأنها تتأرجح. وتابعت السيدة قائلة: «اعتقد انك تقابلين ابني، اليس كذلك.»

بالطبع، هذا هو الأمر، فمن غير المعقول ان السيدة غراي ستون ستستدعيها من اجل أمر تافه كفنجان قهوة.

قالت باقتضاب: «احياناً.»

قالت بصوت جاف: «لا اعتقد ذلك، انك تمضين وقتاً كافياً معه وبالتحديد كلما ترين فرصة مناسبة لذلك. ولا ارى ذلك أمراً مفيداً لك.»

«ماذا تعنين بذلك؟»

«انك تعلمين تماماً ما اعني، يا عزيزتي. واذا كنت تعلمين فانت وابني لستما من ذات المستوى، وكلانا يعلم ان الأمر على متن السفينة لا يبدو ذات قيمة اما في الواقع وفي الحياة العملية لا اعتقد ان الأمر سيستمر على هذا النحو وانت تفهمين ذلك جيداً.»

نظرت ماري بعيداً. كانت ترغب ان تقول ان هذا الأمر يقرره هولدن بنفسه، ولكن ان فعلت ذلك ستتخلى عن التصرف اللائق الذي تتمتع به كما انها قد تسبب لنفسها المشاكل فلذلك بقيت صامتة.

تابعت السيدة: «لا استطيع ان امنع ابني من مقابلتك، ولكن احب ان تعتبري الأمر مجرد عطلة قصيرة وان لا تأخذي الأمر بجدية اكثر مما يستحق؟»

كانت تتكلم وكأنه تحذير واضح. فالسيدة تريد الافضل لابنها وهي لا تليق بأي شكل من الاشكال بالنسبة للصورة التي تريدها له.

قالت ماري بتهذيب: «الاستعراض على وشك البدء. هل حقاً لا ترغبين بشيء؟ شاي؟ أو أي شيء آخر؟»

نهضت السيدة غراي ستون، وسارت بتثاقل وكانت تبدو

اكبر من سنها وكأنها مريضة ثم التفتت نحو ماري وقالت: «اتمنى ان تفكري بما قلته جيداً، يا عزيزتي. نحن لا نرغب ان نتصرف بحماقة، اليس كذلك؟»

راقبتها ماري وهي تبتعد بعصبية ظاهرة وحزن مكتوم. فلقد كانت تشعر بالضيق لأنها اهينت بسبب مستواها المتواضع. اما حزنها فكان خوفاً من أن تهرب منها السعادة التي عاشتها في الأيام القليلة الماضية.

عندما حان وقت لقائها به، خرجت من غرفتها بعدما بدلت ثيابها.

«رائعة جداً.»

سمعت صوته قبل رؤيته، استدارت ناحيته بسرعة وابتسمت، فلقد كانت ليلة جميلة، القمر ساطع كالبدر والوانه الفضية تزين وجهه بألوان محيرة.

«نحن لا نرغب ان نتصرف بحماقة. أليس كذلك؟»

دارت كلمات أمه برأسها.

اقتربت منه وهي تقول: «اشعر وكأنني اعيش في الارياف اقطع الحطب وأربي الماشية.»

ضحك وهو يراقبها وقال: «ما هذه الفكرة، لا استطيع ان اتصور انك تفعلين ذلك. كما لا تملكين صحة قوية لهذا العمل.»

قالت: «لا اتصور انك تعيش كحياة رعاة البقر أيضاً.»

تمتم قائلاً: «لم اتعامل مع الماشية، ولكن في الحقيقة لقد عملت بقطع الاخشاب لفترة.»

قالت بدهشة: «هل حقاً فعلت؟»

ضحك واجاب: «بالطبع، فقد تنقلت بكل دروب الحياة.»

«لم اقل مرة العكس.»

«ليس عليك القول، فكما اقول لك، وجهك يعبر عن كل ما تفكرين.»

قالت بغضب: «لا احب ذلك.»

«انه نوع من المدح.»

قالت: «اخبرني أين تعلمت قطع الخشب؟» لم تكن تريد ان تعلم اي نوع من النساء يفكر بها، هل النوع الذي ترضى عنه أمه. عادت بفكرها إلى تلك المحادثة القاسية ولكن تخلت عنها بسرعة.

قال: «كندا، امضيت هناك فصلاً من ابرد واقسى فصول الشتاء، في كوخ في احدى بحيرات الشمال. فالجليد يغطي كل شيء ولو لم اتعلم بسرعة قطع الاخشاب لكنت قضيت نحبي من البرد والصقيع.»

«ماذا كنت تفعل هناك؟»

«اضع اللمسات الأخيرة للاطروحة التي كنت اعمل عليها.»

«مغامر كبير.»

«كانت فكرة جيدة في ذلك الوقت، فقد سئمت العيش في لندن، وكنت ارغب بالرحيل، وكانت هذه الفكرة رائعة. فالكوخ كان لصديق يستعمله فقط في فصل الصيف وظن ان ذلك يفرحني.»

قالت وكأنها تحلم: «لا بد انها كانت مغامرة رائعة، وحدك في وسط المجهول وليس من صديق لك سوى الطبيعة.»

«والدب القطبية. كنت ادافع عن نفسي بيدي فقط.»

www.elromancia.com

قالت: «لا شك انها تجربة مروعة مع الدببة.»

«بدون شك.»

«هل عدت إلى ذلك المكان ثانية؟»

هز برأسه قائلاً: «لم يتسن لي الوقت، فقد شغلتني المباني الحجرية، وقبل ان اعي ذلك اصبحت في الثالثة والثلاثين واصبحت تلك الايام كالحلم.»

«يا للأسف.»

ضحك وقال: «أنت تشفقين عليّ! أليس كذلك؟»

قالت: «نوعاً ما، فالمدن المكتظة تشبه السجون. الا تشعر كأنك سجين؟»

نظر إليها باستغراب: «بالطبع لا، ولمَ اشعر هكذا؟ فما غاية التحرك إذا لم يكن إلى الامام باستمرار؟ الطموح هو الدافع الذي يجعل عجلة الحياة تدور.»

«بالطبع لا، فالمال ليس بهذه الاهمية؟ لا اعتقد انه كذلك.»

هز كتفيه وقال: «انت المرأة الوحيدة التي تقول مثل هذا الكلام.»

ضحكت وهي تفكر هل هذا نوع من المدح وقالت: «وانا أيضاً لم اقابل انسان مثلك يا سيدي! ولكي اقول الحق، الجامعة ليست المكان المناسب لمقابلة الرجال الطموحين الشجعان. اصدقائي كانوا منكفئين عن هذا الاحساس. طموحهم ان ينجحوا في دراساتهم. صدقني معظم الناس يعيشون حياة متواضعة وسعيدة ليؤمنوا بعض الرفاهية المطلوبة.»

قال بصوت بارد: «لا اعتراض لي على هذا الحديث.» كان

صوته يوحي انه يتكلم عن امر يراه بعينيه ولكن لا يشعر بصدقه.

قالت بجدية: «لا اعتقد انك تعرف العيش مع الملايين من الناس في الجانب المظلم من الحياة.»

اجاب وهو يضحك من حزنها: «لو كنت اعلم انك هناك لقفزت باحثاً عنك.»

ابتسمت متمتمة: «يجب ان يكون لديك ساقان طويلتان ولكن اشك انك تستطيع ان تغطي المسافة بين العالمين.»

اجاب متكاسلاً: «آه، طبعاً، نحن من عالمين مختلفين، ولكن هذا ما يجعلك منعشة كالنسيم.»

«ايها الثري المسكين.» تمتمت وهي تنظر إليه. كانت تشعر بحيوية لم تعهدها من قبل. كيف امضت حياتها من دون هذا الاحساس؟ وهل هذا الاحساس سيقضي عليها يوماً؟

«لم يناديني احد هكذا او لم يجرؤ احد على ذلك.» وشعرت انه بالطبع محق. فهولدن غراي ستون ليس من النوع العادي بل يرهب من حوله. وكانت مندهشة كيف تشعر بكل هذه السعادة والراحة معه وكان يسعدها انه معها بكل هذا الفرح الواضح عليه.

قال بصوت اجش: «اشعر وكأنني عديم الجدوى.»

قالت بصراحة: «وانا أيضاً.»

قال: «اسمعي. لدي فكرة رائعة. بما ان هذه الباخرة ملكي، ما رأيك ان تتوقفي عن العمل، ليتسنى لنا قضاء اكبر وقت معاً؟»

قالت وهي تضحك: «ستكون هذه اسوء فكرة.» لأنها تساءلت في نفسها عما قد يحل بها بعد رحيله؟

www.elromancia.com

«في هذه الحال، غداً سترسو السفينة في مارتينيك وانا وانت سنختفي النهار كله. هذا أمر.»

قالت: «ومن انا لأرفض؟» كان يسعدها ان تبقى معه تحت السماء الدكناء والقمر الساطع. لم تكن تفكر ماذا ستقول عمتها عن هذا التصرف الطائش. فالحب من الاحاديث المحظورة معها، لأن تجربتها في الحب كانت حزينة وقاسية ولكن ليس هذا هو احساسها.

قال: «الآن علي ان ادعك تذهبين إلى غرفتك. لقد وعدت أمي ان اقابلها في قاعة الاحتفالات قبل نهاية العرض.»

قالت بجدية: «بالطبع، اجل.»

«لا تتكلمي بهذه الطريقة. فانت لا تدرين كم من الاعمال علي انجازها هذه الليلة.»

تمتم مضيفاً: «سانتظرك غداً عند العاشرة والنصف.»

سارا معاً إلى باب السفينة، وانصرفا، هي إلى غرفتها وهو إلى قاعة المسرح.

تزاحمت الافكار في رأسها لحظة دخولها غرفتها. استلقت على سريرها الصغير محدقة بالسقف واضعة يديها تحت رأسها. كانت لا تزال تفكر به، بنظراته، كانت تشعر انها مجنونة، فهي لم تتصرف هكذا طوال عمرها، ولم تشعر هكذا من قبل. كانت دائماً هادئة، واثقة من نفسها، تراقب تصرفات الناس بمنطق وعقل. كيف ضعفت شخصيتها إلى هذا الحد؟ انه تغير جذري في اقل من اسبوع.

نامت قلقة ومضطربة. وسارعت بالنهوض باكراً لتراقب بزوغ الشمس من وراء الافق عبر نافذتها الصغيرة. اسرعت بالذهاب إلى المطبخ لتحضير الفطور. معظم الذين تعمل

معهم، يعلمون بعلاقتها بهولدن. ولكن معرفتها السطحية بهم تمنعهم من التدخل بشؤونها، خاصة انها لا تهمل عملها. ولكن هذا لم يمنعهم من تحذيرها بطريقة مبطنة بأن عليها ألاّ تتورط مع المسافرين بطريقة جدية.

جيسكا هي الوحيدة التي كلمتها بوضوح طالبة منها ان تعي تماماً ماذا تفعل. فالأمور الطائشة لا تجلب سوى الحزن والعذاب.

لم يكن الصباح زاخراً بالاحداث. واخذ المسافرون يتكلمون باللغة الفرنسية من خلال القواميس التي كانت بين ايديهم. واخذت تضحك من الجمل التي يتعلموها وهي تقدم لهم الفطائر الفرنسية والتوست.

تساءلت: هل ستخرج والدة هولدن أيضاً؟ وماذا سيكون شعورها عندما يخبرها أنه مرتبط طوال النهار.

اسرعت نحو غرفتها لتغير ثيابها. ارتدت ثوباً قطنياً ناعماً، وحملت حقيبتها على كتفها.

اتفقا ان ينتظرها هولدن خارجاً. وقفت على متن السفينة تحدق به. كان واقفاً ويديه في جيبي بنطاله، ولون قميصه الاصفر الباهت يعكس على لونه البرونزي جمال اخاذ وتناسق كامل. لا احد بامكانه ان يتوقع ان هذا الرجل صاحب ثروة تقدر بالملايين. كل شيء فيه ينم على القوة والذكاء والموهبة.

اقتربت من سلم الباخرة، لمحها والتقت عيناهما عبر الناس المحتشدة والتي تهم بالنزول من الباخرة.

كان يوماً حاراً ممتعاً، والسماء صافية زرقاء. والمسافرون يغمرهم الشوق للتجول في العاصمة،

للتفرج على الذوق الفرنسي المميز. كانت لديهم معلومات من خلال فيلم فيديو عرض عليهم مساءً في الباخرة وبالطبع فرصة التكلم باللغة الفرنسية التي كانت ستفرح اهل الجزيرة.

لقد عرضت افلام السفينة لمدة يومين بترغيب وحماس كل من يرغب بمشاهدته، من امطار الغابات، إلى الغني والترف إلى طبيعة المناخ كما هناك الشواطىء وفن العمارة المختلف كلياً عن أي مكان آخر.

فكرت ماري انها لو كانت في حالة عادية لكانت أسرعت للاستفادة من هذه المعلومات والمناظر. اما الآن فالظروف العادية، لم تعد موجودة. وكل ما تستطيع فعله، هو التوجه إلى هولدن وقضاء اليوم بكامله معه.

سألته وهي تبتسم: «هل تنتظر احداً ما؟»

قال بصوت رزين: «لا احد معين بالتحديد، ولكن الآن بما انك هنا، ربما بامكانك مرافقتي؟»

«لا اعتراض لدي.»

كان هناك تجاذب خفي بينهما وشوق متبادل.

تبعته إلى السيارة التي استأجرها ليوم واحد. بيجو زرقاء انيقه وحديثة.

سألته: «إلى اين سنذهب؟» وجلست إلى جانبه وهي تبتسم.

أجاب: «سنتجه جنوباً، لقد قمت بجولة صباحاً، هناك شاطىء جميل، سنذهب إليه.»

سألته باستغراب: «قمت بجولة؟ هل تعني انك لم تأت من قبل إلى جزر المارتينيك؟»

«اطلاقاً.»

«وتقول انك جوال كبير.»

ضحك وقال: «أمر مريب، اليس كذلك؟»

وافقت: «مريب.» اسندت ظهرها على المقعد واخذت تمتع بصرها في المناظر البديعة من خلال النافذة، الالوان الأخاذة للمزروعات وزهور الفلورا. كان يصعب عليها تذكر الضباب والروتين القاسي في لندن.

سألت بصوت ناعم: «اين ستمضي أمك النهار؟»

«ما هذا السؤال الغريب. هل ازعجتك؟»

هزت كتفيها وقالت: «قليلاً، انها تعتقد...»

قاطعها قائلاً: «اعلم ما تعتقد، صدقيني. فهي لديها تحفظ من جهتك. وتعاني كرهاً شديداً من أي امرأة تقترب مني ظناً منها انها تفعل ذلك من أجل مالي. هل تلقين اللوم عليها؟ فأنا غني جداً والرجل الغني هو دائماً فرصة جيدة لمن تبحث عن الثراء.» كان يتكلم ببرودة وقسوة جعلتها ترتجف.

«للمال سيطرة قوية، على ما اعتقد.» قالت ذلك ببساطة.

نظر إليها متهجماً وقال: «بالطبع، ولكنني لا اهتم بالباحثة عن الذهب، وكل من تظنني جواز سفر سريع للحياة السهلة ستقع في شر اعمالها. ولكن انت لست منهن. أليس كذلك، يا عزيزتي؟» كان سؤالاً يحمل في طياته تحذيراً.

نظرت إليه محدقة وقالت: «بالطبع لا.»

«هذا جيد.» ابتسم وتابع: «اكره كثيراً ان اخدع.»

ركز عينيه على الطريق امامه، وعندما تكلمت حاولت ان يكون صوتها خفيضاً مع ان ما قاله هزها بقوة.

«سألت عن والدتك لأنني اشعر بالذنب اذ ابعدتك عنها.»

نظر إليها قائلاً: «في الحقيقة، لقد امضيت وقتاً مع أمي اكثر مما كانت تتوقع. كنت انوي المرور فقط للتأكد من حسن العمل والمغادرة فوراً.»

«ولمَ بقيت هنا إلى الآن؟»

قال بصوت مثير: «ولمَ ترتجفين؟» فشعرت بالارتباك.

وصلا إلى الشاطىء وكان جميلاً كما قال لها، في ذلك اليوم المشمس الرائع لم يكن هناك احد غيرهما في كل ذلك الهدوء.

ترجلت من السيارة تتنفس الهواء المشبع، حاملة حقيبتها على كتفها، تبعها بعد قليل وسارا حتى وصلا إلى ظل شجرة جوز الهند.

قالت: «ما رأيك في الجلوس قليلاً.»

قال: «كما تريدين.»

جلسا عند ظل الشجرة، فقالت: «المكان رائع، أليس كذلك؟»

تمتم وهو يرمقها: «الرائع، انها المرة الأولى التي نكون فيها بمفردنا. ليس هنالك من ينظر الينا.»

قالت: «اجل، هنالك من ينظر باستفهام في الباخرة ومنهم من اعمل معهم.»

قال: «هل يزعجك الأمر؟»

«ربما، لو ان علاقتنا تجعلني اتساهل في عملي.» رمقها بنظرة غريبة فتابعت: «اعلم انك لا تفهم هذا الأمر.»

قال: «بالطبع، افهم، أي نوع من مديري الاعمال اكون إذا لم اقدر قيمة العمل الجيد؟ ولكن لن اجعل رأي الناس يقيدني، فهذا النوع من الحديث لا وجود له في حياتي.»

«أي مدير متفهم وحنون انت.»

قال: «هل تعلمين ان لديك مكاناً خاصاً في نفسي يجعلك تتكلمين بهذه الطريقة؟»

ضحكت وهي تقول: «ما عليك الا ان تلوم حرارة الشمس.»

قال بهدوء: «لا استطيع تحليل كل ما يجري معنا، ولكن مهما كان فانه رائع. والتحدث عن المستقبل الآن سيزيل جمال هذه اللحظات.»

فكرت، ان هذا الاحساس الجميل عليها ان تعيشه، لا ان تناقشه. فهي مغرمة به، وتعلم ان الأمر سينجح في النهاية.

لم تكن تفكر كيف ستواجه طاقم السفينة فربما سيحزر الجميع ماذا يحصل معها!

ابتسمت له بسعادة متعجبة من هذا الواقع الغريب، كيف استطاع السيطرة على احساسها وجعلها تشعر بنفسها كامرأة ناضجة. لم تفكر في المستقبل فهي تعلم ان كل هذه العقبات التي تدور في رأسها ممكن القضاء عليها. هما حقاً مختلفان كما اخبرتها أمه ولكن الصعاب هي جزء من الحب.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

وجدت ماري نفسها تسير على رؤوس اصابعها، فهي تعمل على هذه السفينة، تشعر الآن بنفسها وكأنها دخيلة عليها. فهي تزحف بهدوء في الممر والساعة تشير نحو الحادية عشر. وبالطبع الجميع في قاعة الاحتفال حيث هناك عملها لتقديم الضيافة أو التحدث مع المسافرين، ولكن كل ما كانت تفعله هو التلهف للمغادرة.

فيوم بكامله من دون رؤية هولدن، كدهر بالنسبة لها. فمنذ العاشرة وهي تعاني من شوق له، فهي تريد رؤيته، التحدث إليه. عندما رأته يجلس مع والدته في المقاعد الخلفية ينظر بكسل إلى العرض وأمه تحدثه، قررت اللحاق به عندما يغادر ومفاجأته.

وهذا خرق واضح لتعليمات القبطان، ولكن لن تتأخر اكثر من بضع دقائق. كان يلاحقها بنظراته طوال السهرة ولم يتسن لها الوقت للاقتراب من طاولته.

وبالرغم من ان هناك من يهتم بذلك الركن من القاعة، كانت تستطيع الوصول إليه، ولكن وجود والدته، واعلانها الصريح عن رفضها لها، منعاها من ذلك فلم عليها الدخول في خصومة معها طالما تستطيع رؤية ابنها لاحقاً؟

لمعت الحيرة في عينيها في ممر الغرف. فهي لم تدخل هذا القسم من قبل. فهو قسم الدرجة الأولى. ويقيم هولدن في جناح بينت هاول ومنذ ايام قليلة سألته عنه واخبرها

بالتفصيل عن المفروشات والديكور وكان يضحك من استغرابها.

قالت: «يبدو وكأنه قصر. من يستطيع العيش طوال عمره في كل هذا الترف؟»

قال وهو يضحك: «قد تفاجئين، ولكن هناك غنى اكثر مما قد تتخيلين.»

سألته هي تبتسم: «أمن أجل هذا أمك خائفة على ثروتك؟ هل تريد التأكد من صلاحية من ستصرف كل هذه المدخرات؟»

كانت ملامح وجهه جادة عندما اجاب: «ترغب في حمايتي، أليس كذلك؟ فأنا اعلم ان العالم مليء بالمتطفلات.»

اقتربت من نهاية الممر وهي خائفة. هذا هو جناحه والباب يبدو وكأنه غير مغلق. نظرت حولها لتتأكد من خلو الممر. وهمت ان تمسك بمقبض الباب وتفتحه جيداً لتدخل ولكنها اجفلت عن ذلك.

كانت تسمع اصواتاً، انه يتكلم مع أمه، فهي تعلم ذلك الصوت المتعالي جيداً، ولأول مرة في حياتها تتنصت على الأبواب. لم تتخيل نفسها انها تستطيع فعل ذلك. ولكن خيل إليها انها تسمع اسمها. كانت متوترة، وتعاني من أمرين اما الذهاب فوراً أو البقاء حيث هي. وقبل ان تصل إلى قرار ما سمعت أمه تقول: «انت أحمق، الفتاة تستغلك، انه أمر واضح يا هولدن، الا ترى ذلك؟» صوتها كان حاداً وكأنها تسأله ولكن ماري لم تسمع رداً من هولدن فتابعت: «لقد رأيتها الليلة كيف كانت تنظر اليك، وكانت تبعد نظرها عنك عندما انظر إليها، ولكنني لست حمقاء.»

«اماه، انت تبالغين.» كان صوته كسولاً وكأنه يرغب في انهاء الحديث. كانت ماري تتخيل وجهه، وكأنها تقف امامه تماماً، بارداً عيناه مغمضتان وفمه مطبق بتكاسل.

قالت السيدة غراي ستون بجدية اكثر: «انا لا ابالغ، الفتاة مجرد عاملة في طاقم السفينة، الا ترى ذلك؟»

سألها: «وماذا تقترحين ان افعل؟»

علي الرحيل، قالت ماري لنفسها، ولكن خانتها قدماها وكأنهما سمرتا في مكانهما.

«انت تعلم ما اقترح عليك، يا هولدن.»

سألها ببرودة: «حقاً اعلم؟ لمَ لا تقولينه لي.»

«سأفعل. هذه الفتاة ليست من نوعك المفضل.»

«انت لا تدرين أي نوع من الفتيات يعجبني.»

«انها مجرد باحثة عن الثراء، فهي تعلم من انت، وتعلم انك كنز حقيقي، فهي ترغب في الحصول عليك.»

ضحك هولدن وقال: «حقاً؟ الا ترين ان ليس لي أي قيمة أو جاذبية لاجتذاب النساء الا بواسطة اموالي.»

«انني لا امزح، يا هولدن. تذكر والدك!»

قال بحدة: «لا أرغب بذلك اطلاقاً.»

«حسناً، ولكن كل ما اقوله انها ليست اكثر من تسلية في رحلة على متن سفينة.»

قال وكأنه نفد صبره: «أنا لم اتقدم لخطبتها، يا أماه! ارجوك.»

«حسناً، طالما ان الأمر لم يصل إلى هنا، لن اتدخل في حياتك الخاصة ولكن...»

كان صوته اقرب الآن: «أماه... انا لا ابدي أي اهتمام...»

كان قد وصل إلى الباب. فأسرعت ماري بالهروب. كانت تشعر وكأنها تحترق. وصلت إلى نهاية الممر عندما اغلق هولدن الباب. فتنفست بحرية.

ماذا كان يرغب ان يقول؟ اجابها عقلها بالجواب المذل المخزي: انا لا ابدي أي اهتمام بالزواج منها، انها مجرد علاقة عابرة قصيرة الاجل!

اسرعت بالعودة إلى غرفتها، الافكار السوداء تجول في خاطرها. ما كان عليها الوقوف هناك. وما كان عليها التنصت إلى كلامهما، ولكن، أليس معرفة الحقيقة افضل من العيش في وهم كاذب.

هولدن غراي ستون وجدها جذابة، ولكنه لم يفكر لحظة ان يعتبرها شريكة حياته. كانت ترتجف وتشعر وكأنها مريضة وذليلة.

كل شيء كان رائعاً، كانت علاقتهما مميزة، على الاقل بالنسبة لها ولكن ليس بالنسبة له. فهي مجرد عاملة في طاقم السفينة. فهو يفكر تماماً كوالدته ولو انكر ذلك. «انا لا ابدي أي اهتمام...» اعادت هذه الكلمات إلى خاطرها حتى شعرت وكأنه سينفجر.

كان لديها ثقة كبيرة بحبها. والآن تشعر باليأس والمرض. فلقد استغلت تلك الثقة، واستعملت. فهولدن غراي ستون رجل ذو خبرة ولقد مارس هذه الخبرة عليها. فمنذ اللحظة الأولى التي رآها بها قرر التقرب منها، ولم يكن عليه بذل مجهود كبير ليفعل فلا شك انها واحدة من اسهل الفتيات اللواتي استطاع التأثير عليهن. وقد يكون الأمر سهلاً دائماً فثقته بنفسه كبيرة وشخصيته لا تقاوم.

www.elromancia.com

وكلما ازداد تفكيرها بالأمر ازداد ضيقها. وشعرت بالاحتقار لنفسها. عليها ان تضع حداً لهذه العلاقة.

ارتمت على سريرها وخبأت رأسها تحت الوسادة.

الحياة لم تعلمها الكثير. فقد توفيت أمها قبل ان تلقنها حكمة الحياة وعمتها كانت تصاب بالرعب كلما ذكر اسم رجل أمامها.

فكرت بامتعاض لقد عاشت حياة بريئة وكانت ضحية سهلة لشخص كهولدن.

في صباح اليوم التالي كانت عيناها تؤلمانها. نهضت باكراً في الخامسة والنصف. نظرت إلى الخارج ورأت ان النور بدء يبزغ. كانت السماء زرقاء وتمنت لو انها تمطر، فهي ستتأقلم لو تعود إلى لندن، إلى بيت عمتها بعيداً عن السماء الزرقاء والبحر الحالم والناس الفرحة.

ارتدت ثيابها بسرعة ووضعت قليلاً من المساحيق على وجهها لتخفي آثار ارقها وتنهدت بعمق.

كان عليها ان تبتسم وتبتسم، تبتسم حتى ولو ضايقها الأمر، عندما وصلت إلى المطبخ لم تشعر بالاحراج. فالكل منهمك بعمله باحضار الفطور. ورئيس الطهاة يصرخ بسبب الفوضى والتشويش في العمل الذي يريده في غاية الابداع والذي كان يقابله ضحك ساخر في العمل.

انهمكت ماري بعملها ولم تنتبه لنفسها الا بعد خروج آخر مسافر من قاعة الطعام.

لم تكن تتوقع وجود هولدن في القاعة. فلقد اتفقا ان يتقابلا في مكان آخر بعد الفطور. وفكرت كم كانت سعيدة بانتظار ذلك اللقاء. فقد كان سهلاً عليها الوقوع في الحب.

فهي بريئة وسهلة لشخص ناضج مثله. لقد حاولت اقناع نفسها بان علاقتهما ستقضي على كل الفوارق بينهما، مع العلم انه لم يتحدث بذلك اطلاقاً. ولكن الجو المشرق اثر عليهما معاً ولكنها كانت من الغباء بحيث لم تر الحقيقة التي كانت واضحة كنور الشمس.

كانت تترقب قدومه وهي متوترة، وعندما قرع الباب ارتاحت عندما رأت جيسكا. كانت تحمل لها الشاي وعلى وجهها تجهم واضح.

نظرت اليها وقالت: «لقد بدوت منزعجة هذه الصباح، فلذلك اتيت للمساعدة.»

قالت ماري وهي تبتسم بفتور: «الحقيقة، لا شيء مهم.»

«انه ذلك الرجل، اليس كذلك؟» أومأت ماري رأسها بالايجاب فما الفائدة من الانكار. تابعت جيسكا: «كان علي معرفة ذلك، فلقد احسست بالخطر منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها. من طريقة كلامه، من حركاته. كان علي تنبيهك للأمر. نحن حقاً بذات العمر، ولكن تشعريني وكأنني اكبر منك.»

تمتمت ماري بمرارة: «آه، كان علي ان استعمل عقلي، ولكن لحسن الحظ، انه الآن جاهز للعمل.»

«ولكن من هو بكل حال؟» لم تنتظر جيسكا الجواب. نظرت بتفكير وتابعت: «اذا فكرنا بالأمر ملياً، فلا بد ان نعرف انه انسان. ولهذا لم يكن هناك مجرد تلميح عما يجري.»

قالت ماري بفتور: «انسان مهم.»

«هيا افرحي، فالرجل المهم يعني ورطة كبيرة، كان علي

www.elromancia.com

معرفة ذلك. لقد وقعت بذات الخطأ منذ عدة اشهر، وهذا ما يجعلني اشعر بالراحة كوني هنا.» ابتسمت بندم وتابعت: «رجلي المهم كان رئيسي في العمل، وكان متزوجاً، كما ان زوجته لم تعرف انه معتاد على السفر الدائم وهذا ما لم افهمه واوقعني في ورطة.» ابتسمت وامسكت بيد ماري وتابعت: «هيا واجهي الأمر، البحر مليء بالسمك دائماً.»

«انت على حق.»

قالت جيسكا بصوت آمر عميق: «وبعض السمك غني جداً، وهذه السفينة لوحدها تثبت نظرتي.»

ضحكت ماري ضحكة جوفاء وقالت: «هل تحققت من لائحة المسافرين؟»

اجابت جيسكا: «تحقيق روتيني.» وكانت تشعر بالراحة. انها على الأقل اقنعت ماري بالكلام وتابعت: «اقترح عليك البحث حولك عن شخص مناسب اكثر.»

احست ماري بقلبها ينقبض ولكن ابتسمت بفتور وقالت: «الديك اقتراحات؟» وتابعت: «سابقي عيناي مفتوحتين. انا...»

«هل حقاً ستفعلين؟» كان صوته بارداً كنظرة عينيه وهو يقف امام الباب الذي كان مفتوحاً على مصراعيه.

غادر اللون وجه جيسكا، فقد بدت كسمكة اخرجت من الماء. توجهت نحو الباب منحنية الرأس ومتجمدة الاطراف.

نظرت ماري إليه بتحد. فماذا إذا سمع نهاية حديث يبدو وكأنه تآمر مشين؟ انهما الآن متساويان. أليس كذلك؟

دخل إلى الغرفة واغلق الباب وراءه وحدق بها بعينين باردتين كالثلج.

«لم اكن اعلم اني ساقاطع حديثاً بهذه الاهمية.» لهجته جعلتها ترتجف.

بهدوء، ابقي الأمر هادئاً، كانت تفكر بمرارة. وحاولي ألا تدعي لقوة شخصيته ان تؤثر عليك ليتلاعب بك مجدداً. نظرت إليه بكل جرأة وقالت: «ما كان عليك التنصت وراء الأبواب.»

«ولكن الانسان يكتشف اموراً مهمة بهذه الطريقة.»

اقترب منها اكثر. فتنهدت بمرارة وقالت: «نعم، معك حق.»

كانت تشعر بالخوف والارتباك. فهي حتى الآن لم تر منه الا الوجه الباسم، الدافىء. الوجه الذي اتخذه اقرب وسيلة للوصول اليها.

رغم العذاب المدمر الذي تشعر به كانت تعلم انه مازال يستطيع السيطرة عليها.

سألها: «أمر طائش التحدث عن فرص البحث عن الثراء والباب مفتوح، أليس كذلك؟» كان صوته لاذعاً ومسيطراً.

كانت قد كررت ماذا ستقول له مرات عدة، لقطع العلاقة بينهما، ولكن الآن بما انه هنا ولقد خلص إلى هذه الاستنتاجات الخاطئة، فقد ادركت ان ليس عليها القيام بالمزيد، وعليها ان تتركه ببساطة لتفكيره، بأنها كانت تسعى وراء ماله. فهذا امر يسهل عليه قبوله. فالشك طبيعة ثانية لشخص مثله.

قال بحدة: «اجيبي عندما اتكلم معك!»

همست بيأس: «قد يسمعك احداً ما.»

«لا اعير أي اهتمام لذلك، فانا املك هذه السفينة.»

www.elromancia.com

كانت يداه في جيبي بنطاله. هل يفكر في ضربها؟ كان يبدو عليه أنه سيخنقها، ولكنه لن يفعل، فهو ليس من النوع الذي يتصرف بعنف، وقد اخبرها ذلك مرة. لم يكن عليها الخوف منه، ولكنها ترتعب خوفاً من تلك النظرة الحادة الباردة.

سألته: «ماذا تريدني ان اقول؟ اتريد ان اقول انني كنت الاحقك من اجل مالك؟ حسناً، انه كذلك، رضيت الآن؟»

كان يبدو وكأنه سينفجر من الغضب. سار باتجاه الباب ولكنه عاد إلى مواجهتها.

«والآن اخبريني منذ متى تتآمرين علي؟ ولا شك انك اعتقدت انك حظيت بالدجاجة التي تبيض ذهباً عندما ابديت اهتماماً بك.»

قالت: «فكر فيما يحلو لك.»

سألها: «متى قررت ان تعتبريني وسيلة؟»

قالت وعيناها تلمعان بالغضب: «لا اعتقد انك ستصدق ان اخبرتك ان كل اموالك لا تعني لي شيئاً، هل تفعل؟»

«بعد كل ما سمعته؟»

قال باصرار: «لا شك انك تعتبرينني مغفلاً، لقد فات الأوان، لم يعد باستطاعتك تغيير الأمر ولكن فقط اريد ان اعلم متى بدأت بتلك الخطة. لأنني اريد الابتعاد عن كل النساء اللواتي هن مثلك في حياتي.»

آلمها كلامه، ولكن لم تظهر ذلك. قالت لنفسها لن تهتم له. لمَ عليها الاهتمام بشخص لم تكن غايته الا استغلالها ورميها جانباً كثوب رديء عندما يمل منها؟ شعرت بالمرارة المؤلمة تنهكها من جديد.

اقترب منها، وبطريقة لا شعورية ابتعدت إلى الوراء مع انه لم يكن هناك فرصة للهرب منه.

قالت: «ارحل ودعني وشأني...»

«ليس بعد، يا عزيزتي، لم يوجد بعد من يعتبرني احمق.»

قالت بأسى: «كم كنت اتمنى لو لم اتعرف عليك قط، كان عليك البقاء مع نساء من نوعك، نساء ترضى عليهن أمك وبذلك لم تتعرف على فتاة مثلي؟ فتاة غير معروفة من مكان غير معروف لتدخل في عالمك المحظوظ.»

كان وجهه قاسياً، والاسوء من كل ذلك كان ينظر إليها كأنه يراها للمرة الأولى.

الغضب المدمر المؤلم اندفع كلاماً كالسيل على لسانها.

«لمَ لا تواجه الحقيقة، المرأة في حياتك مجرد لعبة تتسلى بها وترميها جانباً عندما تريد. فالمال اعطاك الحق لتتصرف هكذا. فاذا كنت تريد التفكير انني اكلمك من اجل مالك، فهذا يعنيك. ولكن اذا لم تفكر بذلك، اخبرني إلى متى كنت ستستمر بهذه العلاقة. حتى اتوقف عن تسليتك؟ حتى سذاجتي وبراءتي لن تفرحك. عندها ماذا ستفعل؟ سترحل من دون التفكير بأن عملك هذا كان نوعاً من الاستغلال الحقير.»

اغمض عينيه قليلاً وقال وكأنه يضحك: «ماري ستيفنز الصغيرة. هل كنت تحلمين بأمر اكبر؟ الزواج، ربما؟ هل كانت صدمة لك انني لم اخبرك قصص الغرام والحياة السعيدة طوال العمر؟»

انكرت ذلك وقالت: «لا.» هل حقاً كانت تتوقع الزواج منه؟

ربما ولكن لم تفكر بالأمر بعد، فهي بدأت بعاطفة جديدة غمرتها. كانت تكتشف شوقاً جديداً لم تعهده من قبل.

قالت: «ما كنت ارغب بالزواج منك ولو انك الرجل الوحيد في هذه الدنيا. انا اعلم انه يسهل عليك الاقتناع بقدرتك على السيطرة على النساء، ولكن اعتقد انك مجنون ان اعتقدت انني ارغب بالزواج منك.»

«هل تقولين انني لو تقدمت لك لرفضتني؟ وان فتاة وضيعة مثلك ستكتفي ببعض الهدايا التافهة؟» وضحك ببرودة وقساوة.

قالت بامتعاض: «لم افكر لحظة بمالك، كما وانك آخر من افكر بالزواج منه. لقد امضينا معاً وقتاً ممتعاً، كما انك اسديت لي خدمة بطريقة ما. لأنني قبل ان اتعرف عليك كنت مجرد طفلة ساذجة، وكنت أرغب في انهاء هذه العلاقة على كل حال. وكان لا بد من يوم لذلك.»

سألها بصوت مليء بالازدراء: «لقد اسديت لك خدمة؟»

ابقت ماري نظرها على الحائط وراءه. كانت ترى السماء من خلال النافذة الصغيرة. كانت صافية وزرقاء. كيف تمر بكل هذه الصعاب في يوم ممتع كهذا، فهي لم تشعر في حياتها انها كانت بائسة كما اليوم. عندما كانت في الرابعة عشر، كانت تتخيل انها لن تعاني المرارة كما عانتها بفقدانها والديها. والآن بعد سبع سنوات، علمت ان هناك نوع آخر من الألم، وكل الآلام موجعة وصعبة.

«لا شك انك ضجرت.» لم تكن تهتم لما تقول فالأمر لن يسوء اكثر مما هو عليه فتابعت: «واذا كنت اسعى وراء مالك ام لا فعليك ان تفكر انني ضجرت أيضاً.»

قال بهدوء تام: «هل هذا حقيقة؟ ولكن طالما تقولين اننا كنا تستغل بعضنا فلمَ نتوقف الآن؟»

ابتعد عنها وهو يحدق بها بكره واضح.

كانت تشعر بالاذى وترغب في ان تجعله يشعر بالعذاب والألم لأنه حول حياتها إلى دمار. قالت: «لا شك انني كنت مجنونة عندما رضيت ان اتعرف عليك. ولكن لما كنت فعلت ذلك اطلاقاً لولا جيسكا.»

قال: «عن ماذا تتكلمين؟» كان قد ابتعد ولم تجرؤ على النظر في عينيه. كانت ترغب بالهروب من هذا الوضع.

اجابت: «لقد اتفقنا على ذلك، اجل لقد اتفقنا ان كنت...»

قال: «الآن أرى الحقيقة تظهر لوحدها.»

قالت: «اسمع، ما كان عليّ...»

قاطعها بصوت هادىء: «ارجوكِ، لا تبدأي بالشرح. لقد وصفت لي القصة بكل تفاصيلها. كيف قررتما الاتفاق؟ هل لعبتما بقطعة نقدية؟ لها جانب ولك الجانب الآخر؟ لقد رأيتك اولاً ولكن اتعتقدين انه كان لها نفس الفرصة معي لو ربحت هي الشرط.»

«لا...»

«وهل وجدتني على قدر الشرط عزيزتي؟ هل كنت على مقدار توقعاتك؟ انك تثيرين اشمئزازي.»

حدقت ماري به من غير ان تدري بما تجيب، كانت تعلم انها لا تهتم بما يقوله لأنه بعد اليوم لن يبقى له وجود في حياتها. لقد اتهمها بالسعي وراء ماله ولم تكن ترغب برؤية نظرة الاحتقار في عينيه. ولكن اقنعت نفسها بقوة بأن كل شيء جائز في الحب والحرب. اليس كذلك؟

www.elromancia.com

كان ينظر إليها بامعان. ثم قال بتهذيب: «لا اعتقد ان هناك شيئاً ممكن ان يضاف.»

قالت بصعوبة: «لا.»

«في هذه الحالة، إذا كنت لا تمانعين، ابتعدي عن طريقي لأنني اريد الرحيل.»

تنحت جانباً وقالت: «طبعاً.» وبينما هو يغادر سألته: «هل ستبقى في السفينة؟»

التقت عيناه بعينيها وشعرت بالدوار. قال: «لا، لا اعتقد ذلك، كان علي طردك انت وصديقتك حالاً، ولكن بصراحة عندما اخرج من هذه الغرفة لا ارغب بذكر اسمك مرة ثانية في حياتي. وهكذا سترتاحين، انك تستطيعين تكرار شرطك مع من ترغبين.»

لم تصدق انها لن تعود إلى رؤيته ثانية. فعندما تمادت في المناقشة لم تكن تعلم إلى اين ستصل. ولكن النتيجة واحدة لقد انتهت علاقتهما.

هكذا افضل، فهي لم ترغب بالعيش بالحزن، والألم. لقد ذاقت منهما ما يكفيها عندما توفيا، والديها، ترك الحزن بصماته على حياتها وتركها وحيدة وخائفة والآن عاد الألم يواجهها مجدداً وهي وحيدة وضعيفة.

كانت دائماً تبحث عن حبها، عن مغامرة رائعة. لقد ذاقت حلاوة الحب ولكنها ذاقت ايضاً مرارة الندم.

لقد نظر اليها نظرة ساخرة ورحل.

جلست في سريرها، مشوشة الافكار وكأنها قد تعرضت إلى صدمة كبرى، وذكرتها حالها الآن بذلك اليوم الذي علمت فيه بوفاة والديها.

منذ عشر دقائق كان رأسها يضج بمئات الافكار اما الآن فهي مستلقيه على سريرها تحدق بالفراغ.

لم تعرف كم مر عليها من الوقت، حين سمعت قرعاً على بابها. فحبست انفاسها راغبة في رحيل الطارق ولحسن الحظ هذا ما حصل.

استمرت تقول لنفسها مرددة: انه مؤلم الآن ولكن بعد عدة اشهر الوقت كفيل بازالته. فالألم على هذا النحو امر مستحيل.

فهي لن ترى هولدن غراي ستون ثانية. وهذا هو المهم.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

كانت مؤسسة غراي ستون بناية ضخمة في وسط لندن. وقفت ماري تحدق بها من الخارج وقلبها يغوص بين اضلاعها.

من الصعب عليها القيام بهذه الخطوة. ولكن لربما شعرت بشجاعة اكثر لو أن المبنى أقل ضخامة والموقع أقل أهمية. كانت تفكر أن هولدن يشبه كثيراً هذا المبنى فهو قاسٍ مسيطر ومربك. ولم تكن تستطيع اقناع نفسها بغير ذلك. فلم تحاول التفكير بأن الأيام قد تكون غيرت اطباعه. المهم أنها هنا الآن وعليها مواجهة الواقع كما هو.

صعدت درج المبنى ببطء منحنية الرأس واضعة يديها في جيبي فستانها، تاركة حقيبتها معلقة على كتفها.

لقد فكرت كثيراً بما ترتدي في الصباح، لم يكن لديها ثوب عمل ولم تكن تملك المال للحصول عليه. فثوبها هذا بسيط التفصيل. كما انها زينت وجهها ببعض المساحيق الخفيفة التي ابدتها حساسة وعملية.

قالت عمتها: «تبدين كمعلمة مدرسة عملية وشجاعة.»

قالت ماري: «حسناً، تمني لي حظاً جيداً.»

أجابتها وهي تبتسم: «لن تحتاجي اليه، ستكونين بخير.»

عادت ماري بتفكيرها إلى حديث الصباح. فلو أخبرها أحد، عندما كانت في الرابعة عشر وتعيش في ذلك البيت في

شمال لندن، ان صاحبته ستصبح الساعد الأيمن لها لم تكن ستصدق. لذا تبين لها انها كانت مخطئة فالناس تتغير، أليس كذلك؟ فهي تغيرت لقد أصبحت ناضجة بعد معرفتها بهولدن غراي ستون. أمر لا يصدق أنها كانت بكل تلك السذاجة والحماقة.

ولكن ثلاث سنوات فترة طويلة. دخلت غرفة زجاجية لترى نفسها في قاعة استقبال ضخمة. الزهور والنبات في كل مكان وشجرتان في الوسط امامهما عدة مقاعد وطاولات عليها عدة صحف.

نظرت ماري حولها وتنهدت بعمق. لم تشعر بالارتياح ابداً، بالطبع ربما كان في اجتماع او خارج البلاد او ربما في مكان آخر فهي لم تتصل لتحدد موعداً، كانت تعتمد على عنصر المفاجأة، كما أنها لن تدع له الوقت ليستنتج ما تريده على هواه من خلال محادثته على الهاتف. فلا بد من مواجهته وجهاً لوجه.

حاولت أن تتذكر كل المسائل المهمة التي شرحتها لها عمتها لمقابلته ولكن لا شيء يهم، انها بحاجة إليه، رغبت بذلك ام لا فعليها مواجهته.

كانت موظفة الاستقبال صغيرة السن ذات عينين بنيتين واسعتين وشعر بني قصير.

فكرت ماري وهي تقترب منها، العقبة الأولى، سألت وهي تبتسم عن السيد غراي ستون، هولدن غراي ستون اذا كان موجوداً.

انها المرة الأولى التي تنطق باسمه عالياً لأحد ما عدا عمتها، وتخيلته امامها كما تعرفه، طويل القامة جذاب عيناه

www.elromancia.com

بلون البحر. ما زالت تذكر آخر مرة تكلمت معه، ذلك الحديث القاسي الحزين. ولكنها بذلت جهدها لتتخلص من تلك الذكريات المحزنة، فكرت ماذا يفيد إعادة الماضي؟ فقط يجعلها متوترة اكثر مما هي عليه الآن.

ابتسمت موظفة الاستقبال لها، ولكن لم تسألها أي سؤال نظرت إلى الدفتر أمامها وقالت: «انه هنا طوال النهار، ولكن لا أعلم مواعيده، هل لديك موعد معه؟»

قالت: «في الحقيقة لا، لقد وجدت نفسي في هذه المنطقة اليوم وفكرت انني أستطيع مقابلته أنا... صديقة قديمة.»

مر ببالها انه ربما قد نسيها مع انه بالنسبة إليها الرجل الوحيد الذي لن تنساه أبداً.

نظرت الموظفة إليها بتردد فأسرعت ماري بالقول: «لم أقابله منذ ثلاث سنوات، وأتمنى أن أراه من كل قلبي، إذا استطعت.»

«ثلاث سنوات؟ هل كنت خارج البلاد؟ اني آسفة فهذا أمر لا يعنيني.»

أجابت ببطء: «خارج البلاد، لا، فقط، مشغولة... الوقت يمر بسرعة وعندما نظرت إلى مفكرتي تبين لي انه مرّ ثلاث سنوات.» كانت تتمنى ألا تلاحظ الفتاة حالة التوتر التي ألمت بها.

قالت: «مكتبه في الطابق العاشر، واعتقد أن السيدة هافن لن تمانع ان صعدت.»

«السيدة هافن؟»

«مساعدته الشخصية، وهي التي يمكنها اخبارك ان كنت تستطيعين مقابلته أم لا.»

ابتسمت ماري براحة، فلقد تخلصت من العقبة الأولى وتساءلت ماذا سيحدث لاحقاً.

لم يكن هناك أحد في المصعد وهذا ما أعطاها بعض الراحة لتخفي ما في داخلها.

عندما فتح الباب وجدت نفسها أمام ممر مغطى بسجادة زرقاء ويتفرع منه عدة أبواب، لا شك أنه طابق رؤساء الأقسام. أمام كل قسم غرفة زجاجية للسكرتيرات الخصوصيات وداخله غرف المسؤولين.

سارت ماري في الممر وهي تنظر إلى الأسماء الموجودة أمام كل مكتب بهدوء تام.

كان مكتبه في آخر الممر، نظرت إلى اسمه المطبوع على الباب بأحرف ذهبية.

تذكرت ما قالته عمتها صباحاً: «لا تخافي، انه مجرد انسان، لن يلتهمك.»

هذا ما يجب أن تشعر به، ولكن لماذا تشعر وكأنها تدخل عرين الأسد.

نظرت السيدة هافن إليها عندما دخلت المكتب، كانت سيدة متوسطة العمر، ممتلئة الجسم ذات شعر أسود وكان هناك أكداساً من الملفات أمامها إلى جانبها طاولة الكومبيوتر وجهازا هاتف وآلة فاكس، وبجانب الحائط آلة لنسخ الرسائل، كانت تبدو غرفة كاملة لمكتب، لا صور على الحائط ما عدا صورة سفينة طوافة في البحار، جعلتها تجفل بسرعة، كما كان هناك بعض النباتات في زوايا الغرفة.

«هل لديك موعد؟ آنسة...»

اقتربت ماري من مكتبها وهي تبتسم بحذر وحاولت أن

تبدو طبيعية وهي تجيب: «في الحقيقة لا.» كانت تفكر لو أن المرأة تعلم ماذا تخفي وراء هذه الابتسامة لكانت ارسلت وراء الحراس لرميها خارجاً، ولكن ماري أعادت عليها ما أخبرته لموظفة الاستقبال وكأنها تعتذر.

قالت السيدة وهي تنظر إليها بامعان: «السيد غراي ستون هنا ولديه موعد بعد دقائق في قاعة الاجتماعات، ولكن ربما يستطيع أن يراك، إذا أعطيتني اسمك.»

ابتسمت بحرارة وقالت: «هل أستطيع أن أفاجئه؟»

نجح الأمر، ووجدت نفسها تقف أمام باب مكتبه، أغمضت عينيها لتستعيد قوتها وطرقت على الباب بخفة كالأصدقاء القدامى، لكنها بالطبع لم تكن منهم.

«نعم.»

الصوت نفسه، الصوت العميق الذي اطار النوم من عينيها لشهور عدة بعد مغادرتها السفينة. حسناً وحاولت السيطرة على نفسها الأصوات لا تتغير، أليس كذلك؟

فتحت الباب وهي تتمنى لو لم تكن بحاجة لتكون هنا، لرؤيته مجدداً.

كان يتكلم بالهاتف، ولم ينظر إليها عندما دخلت، كان يعتقد أنها السيدة هافن بالطبع، أخذت فرصة لمراقبته، لتعلم أنه مازال كما عهدته.

في كل الفترة التي عرفته بها، لم تره يوماً يرتدي بذلة رسمية. كان يرتدي قميصاً بيضاء ذات خطوط حمراء وربطة عنق رمادية اللون ورافعاً كمّيَ قميصه.

تصورت الحاضر والماضي معاً، وشعرت برغبة عمياء للهروب ثم تذكرت لما أتت ولما عليها أن تكون هنا.

عندما رفع رأسه إليها، بدا وكأنه مس بتيار كهربائي، لم تتوقع أن يتغير في خلال ثلاث سنوات. ذات الوجه القاسي المتكبر يحدق بها بعينين تتخللهما الدهشة أو الصدمة.

كان يتحدث في موضوع ما، قال بعض الكلمات لينهي الحديث بسرعة ووضع السماعة. جلس على مقعده ويداه ممدودتان أمامه، كانت الصدمة قد فارقت وجهه ولكن يبدو أنه غير سعيد اطلاقاً بلقائها.

نظرت ماري إليه بدون أي كلمة.

قال أخيراً: «حسناً، حسناً، أنظروا ماذا جلبت لنا الأيام... ماذا تفعلين هنا؟ وكيف تجاوزت سكرتيرتي؟»

كان الكلام يخرج من فمه كالرصاص.

لم تجرؤ على الحركة، أو على التفوه بأي كلمة.

«حسناً.»

أخيراً استعادت شجاعتها لتقول: «قلت لها انني صديقة قديمة، وحدث أنني مررت بالمنطقة.»

نظر إليها مباشرة ولاحظت كم تغير، كان هناك قسوة واضحة في ملامحه، قساوة صارمة وقلب لا يعرف الرحمة.

«اجلسي.»

اقتربت من الكرسي أمامه، جلست دون ان تبعد نظرها عنه، كانت تقارن بين الوجه الذي تراه وبين ذاك الشاب الذي أغرمت به منذ ثلاث سنوات. سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ثم دخلت السيدة هافن وهي تنقل نظرها بينهما.

قالت: «السيد باندل من قسم التخطيط، قد وصل وهو ينتظرك في قاعة الاجتماعات، هل أخبره أنك قادم بعد لحظات؟»

www.elromancia.com

«الغي الموعد.»

«ولكن... الحقيقة...»

«لقد سمعتني، ألغي الموعد.»

خرجت السيدة هافن وهي تشعر بالاضطراب. فعاد اهتمامه لماري. كان عليها أن تلطف الجو تمهيداً لما ستقوله. فاذا كان بكل هذه العدائية الآن، ماذا سيفعل عندما يعلم سبب زيارتها. ابتسمت وقالت بمرح:

«لم تتغير البتة، أخبرني كيف حالك؟»

«لماذا أتيت إلى هنا؟»

وقف وكأنه لم يعد يحتمل الجلوس على الكرسي، تحرك باتجاه النافذة، محدقاً بالخارج واضعاً يديه في جيبه.

قال صارخاً: «سألتك لما لا تجيبي؟» نظرت باتجاهه وشعرت براحة لرؤيتها بعض النباتات الصغيرة أمام النافذة، لا شك أنها من عمل السيدة هافن، فهولدن غراي ستون آخر من يهتم بالزهور والنبات.

قالت بحرارة: «انك تثير أعصابي، تقف بعيداً، وتنظر إلي كأنني مجرمة قاتلة.»

«وكيف ترغبين أن أنظر إليك؟»

«تستطيع ببعض اللياقة الاجتماعية المعروفة.»

«لا أعتقد أنني من دعاك الى مكتبي، كما لا اعتقد انني رغبت في إقامة أي اتصال بك منذ ثلاث سنوات. فلماذا تريدينني أن أعاملك بلياقة؟» كان يتكلم بغضب وتحرك باتجاهها جالساً أمامها.

سألها بازدراء: «هل أتيت إلى هنا من أجل شرط جديد؟ أم أنك وصديقتك ترغبان بالقهقهة مجدداً على حسابي؟ إذا

كان الأمر كذلك فاني أحذرك، ستكون غلطة ستعيشين طوال عمرك تندمين عليها.»

لقد نسيت تماماً كيف يبدو عندما يغضب، فانكمشت على نفسها مرتعبة.

وقالت: «لا تحاول تهديدي، فأنا لست هنا من أجل... شرط ما.» وعندما رفعت نظرها إليه حاولت أن تبتسم، عليها أن تجعله في حالة معقولة أكثر، قالت بهدوء: «اسمع، لقد مضى ثلاث سنوات واعلم اننا لسنا متفقين... او بالكاد صديقين ولكن لما لا نحاول أن ندع الماضي وراءنا؟»

رن الهاتف بجانبه فالتقطه، أخذ يتكلم وهو يحدق بها. الكره كان واضحاً في نظرة عينيه، لقد خدعت احساسه وهذا ما لن يسامحها عليه، ومن غير الجدوى القيام بالتملق لجعله عقلانياً، طالما يعتبرها حدثاً عرفه على الندم والكره.

أعاد سماعة الهاتف بتصرف لائق، لم يعد ينظر إليها بغضب، بل بدا وكأنه تعرض لرؤية شيء مقيت ظن انه تخلص منه إلى الأبد، لم يكن سعيداً بل كان وجهه ينم عن سخرية باردة.

نظر إليها بابتسامة الفائز: «اذاً تريدين أن نتصرف كراشدين، أليس كذلك؟ لمالا؟ فبعد كل الذي حدث، فنحن صديقان قديمان، ربما لم نكن صديقين، ولكن كنا على علاقة، وهذا ما يجمعنا في ميزة ما، أهذا ما تفكرين؟» تقدم نحو كرسيه رافعاً سترته ووضعها على كتفه بهدوء وقال: «تفضلي.»

نظرت إليه باستغراب: «إلى أين؟»

«هنالك مقهى قريب في آخر الشارع، مكان جميل، نستطيع أن نتناول الغداء او شراب ما.» ابتسم بعذوبة وتابع: «المكتب ليس المكان المناسب للتحدث بين الاصدقاء القدامى، ألست محقاً؟»

نهضت على مضض، فالمكتب هو المكان المناسب الذي ترغب بالتحدث فيه، فهي هنا من أجل هدف معين. ولا تريد أن تتخلى عن ذلك الهدف في جو حميم. فمن الصعب عليها مواجهته هنا، فكيف في صالة مترفة والموسيقى تنساب من زواياها.

لم يكن هناك مجالاً للاعتراض، فقد وقف بجانب الباب ينتظرها.

فتح الباب وسارت تتقدمه وهي مرتبكة. نظرت السيدة هافن لهما باضطراب ملفت.

سألت: «متى ستعود يا سيد غراي ستون؟»

قال بلا مبالاة: «لا أدري، عليك أن تلغي كل مواعيدي لليوم.» نظر إلى ماري وتابع: «لدي الكثير للتحدث عنه مع صديقتي القديمة، تلقي كل مخابراتي من فضلك كما أن هناك رسائل على مكتبي، عليك بطباعتها والتأكد من إيصالها إلى السيد جفري، فالأمر مهم.»

كانت السيدة هافن تنظر إليه باحترام كلي، مع أن تصرفه كان يبدو خالياً من المنطق، ولكنها أحنت رأسها بالموافقة وبقيت تنظر إليهما حتى غادرا.

رفعت ماري نظرها إليه وهما أمام المصعد وقالت: «لم يكن هناك حاجة لترك عملك من أجلي.»

قال: «آه، أعتقد بأن علي ذلك، أليس كذلك؟ أنت هنا لأجل

سبب معين، ومهما كان هذا السبب، عليك أن تأخذي كل الوقت لاخباري به، ألست محقاً؟» وعندما لم تجبه تابع ببرودة: «أعترف، بأنني صدمت عندما رأيتك للوهلة الأولى، ولكنني الآن على أتم ما يرام لمتابعة خطتك بالتصرف كبالغين لديهما بعض اللياقة الاجتماعية حتى تقرري اخباري سبب زيارتك المفاجأة، مع العلم، يمكنك القول اني أعرف تماماً ما هو السبب.»

شعرت بقلبها يخفق بعنف، فمن غير المعقول ان يعلم سبب زيارتها، وقالت: «تستطيع أن تعرف السبب؟» كانت تستطيع اخباره الآن، ولكن مجرد التفكير بمواجهة غضبه المدمر ثانية الآن جعلها ترتجف من الخوف. فالوقت غير مناسب، علي استغلال بعض الوقت لأقوي ثقتي بنفسي وكان عليها الاعتراف أن بعض الوقت يمنحها بعض الراحة.

فتح باب المصعد ودخلا، ولم يتسن لهما متابعة الحديث بسبب أن المصعد كان يقف في كل طابق. ولاحظت بقلق كيف أن الجميع يرمقونه بخشية وينظرون إليها بحشرية زائدة عندما يبتعدون عنهما. فالجميع سيتساءلون، عمن تكون هذه المرأة وما علاقته بها؟ فخلال عملها الحالي في مكتب صغير تعلم ماذا يدور من كلام حول المسؤولين عن علاقاتهم. فكيف وهولدن غراي ستون هو الرئيس المالك لهذه الشركة.

نظر إليها بتفهم ظاهر، فقد شعر بما يجول في خاطرها وهذا ما انذرها بالخطر، فهي تفضل عداوته على تفاهم وصداقة غير مطلوبة منه.

وقف المصعد في الطابق الأرضي، وبدأت تتكلم معه

www.elromancia.com

بسرعة تسأله عن الشركة محاولة قدر الامكان ابقاء مسافة بينهما.

بدأ بالسير على الرصيف المكتظ بالناس، فالوقت قد قارب الظهر، وهناك جماعة من السواح الأثرياء، وبعض النساء يرمقن هولدن باعجاب. وفجأة لمح ببالها خاطر فربما كان قد تزوج. لم يكن يضع خاتم الزواج في اصبعه، ولكن معظم الرجال المتزوجون لا يفعلون.

لم يخبرها انه تزوج، ولكن إن فعل فالزواج لم يغير من أطباعه شيئاً.

«لقد وصلنا.» قال قاطعاً حبل أفكارها، نظرت لترى أنها تقف أمام أجمل المقاهي ذات الطراز البريطاني القديم. كان المقهى مليء بالزبائن ولكنهما تمكنا من الحصول على طاولة بسرعة.

نظرت إلى لائحة الطعام وعلمت لماذا استطاعا الحصول على مكان، فالأسعار باهظة ولا شك أن الموظف سيفكر كثيراً قبل الدخول والحصول على شيء ما يأكله في مكان كهذا، موظف عادي، فكرت بحزن مثلها، كم سيبقى من راتبه إذا حاول شراء سلمون مدخن أو قريديس مع قطع الأفوكادو.

سألها بعدما جلست: «ماذا ترغبين من شراب؟ قهوة أم شيئاً بارداً؟ وإذا ما زلت أتذكر فأنت لم تحبي العصير قط. ولكن ربما تغيرت؟»

احست بأن كلامه يلسع تحت هذا الغطاء من التهذيب.

قالت: «كوباً من المياه المعدنية، شكراً.» محاولة أن تقطع عليه استفزازه. ودعى خادم المقهى ليأخذ الطلب.

«أترغبين بشيء للأكل؟» قال ذلك وكأنه يتمنى أن توافق. فنظرت إلى لائحة الطعام وطلبت سندويش من القريدس والسلطة، مع أنها كانت تشعر أنها لا تستطيع أن تأكل شيئاً.

قالت: «كيف حالك؟ ارى ان امورك تسير بشكل جيد.»

نظر إليها ببرودة وقال: «هل هنالك نهاية لاضاعة الوقت والبحث بالأمور الجدية؟ ماري، إذا كان هذا ما تريدين، فاني أستطيع توفير الوقت باعطائك خلاصة عن حياتي في ثلاث سنوات الماضية وانقذك من الانزعاج بأسئلة سخيفة منمقة.»

أخذ رشفة من كوبه وتابع التحديق بها.

اتقدت حرارة من غضبه فقالت: «إذا لم تكن ترغب بالمجيء، أو لا ترغب برؤيتي، ما كان عليك إلا أن تطلب مني الرحيل.»

كانت تريد أن تخفف من توتر أعصابها قدر الامكان ان استطاعت.

نظر إليها بازدراء: «آه، ولكن ما كنت رحلت، أليس كذلك؟»

«لما تتصرف وكأن الذي حدث بيننا حدث البارحة عوضاً عن ثلاث سنوات مرت؟ كنت أعتقد...»

قاطعها قائلاً: «لأنني لم أنس، فالأمر بالنسبة لي كأنه حدث البارحة.»

تراجعت ماري إلى الوراء، وقلبها يخفق بقوة: «بالطبع أنت لا تعني ذلك.»

قال وقد بدا الكره في عينيه: «بالتأكيد أعني ذلك، لقد استغليتني، وجعلت مني أحمقاً، لم أنس ذلك قط، ولا كلمة

منه، فأنا لم أخدع بحياتي بوجه جميل هكذا، فمثل كل الأخطاء تعيش معك حتى تصيبك بالجنون، عندما غادرت غرفتك، كنت أفكر بقتلك والآن، لا أدري ما الذي أعادك، ولكن شعوري هو ذاته فأنت تبدين بريئة ولكني بت أعرفك بشكل أفضل.»

هجومه أرعبها، فهي بالطبع لم تكن تتوقع أن يفرح بلقائها ولكن كل هذا العداء...

قالت بصوت خفيض: «لماذا إذاً نحن هنا؟ لما لم تطردني خارجاً من مكتبك؟»

«لأنني أعرف تماماً لماذا أنت هنا وأريد أن أشبع غروري بسماعك تترجين ما تطلبين.»

اقترب الخادم منهما واضعاً الطلبات على الطاولة وشعرت بأنها تتنهد بارتياح لحضوره. لم يرمقه هولدن بنظره، بل كان يحدق بها من تحت رموشه السوداء ببرودة، فمنذ ثلاث سنوات لعبت بالنار والآن النار ستحرقها وتحولها إلى رماد.

حرك فمه بسخرية وقال: «ألا يعجبك ما أقوله يا ماري؟ إذاً لما لا تنهضين وتخرجين حالاً؟ الباب أمامك فأنا لا أمسك بك.»

للحظة هذا ما قررت أن تفعله.

قالت بصعوبة: «لا أصدق أنك تحمل كل هذا الكره طوال هذا الوقت.» ضرب بقبضته على الطاولة بقوة. فرأت الناس يلتفتون إليهما وكأنهم ينتظرون أحداثاً أقوى ستحدث.

قال صارخاً: «لا تصدقين؟»

«الحياة تستمر بالدوران.»

«وفري علي ملاحظاتك.»

تابع وهو يجلس براحة: «هيا، أخبريني لماذا أنت هنا، دعيني أسمع ما ستقولينه.»

رمت الكرة إليه ثانية: «لما لا تخبرني أنت؟ طالما تقول إنك تعرف السبب.»

قال ببرودة: «المال، وماذا يكون السبب غير ذلك؟ لا تقولي انك اكتشفت أمراً جديداً لمصلحتي، أو أنك كنت تمرين بالمنطقة، هذه قصة مضحكة خولتك الوصول إلى مكتبي بسرعة قصوى.»

اتسعت عيناها من الدهشة وبدا هذا الاندهاش موافقتها على استنتاجاته.

«إذاً أنا على حق، أليس كذلك؟ لقد وقعت في ديون، وفجأة تذكرت هولدن غراي ستون الثري الذي تعرفت عليه مرة. الفرصة الذهبية التي اضطررت للتخلي عنها بسبب أنك كنت حمقاء وبحثت بمخططاتك لصديقتك ناسية باب غرفتك مفتوحاً.» أنهى شرابه وكانت تفكر هل سيطلب آخر، غير أنه لم يفعل، بل أخذ السندويش وبدأ بالتهامه، وتذكرت أنها لم تذق شيئاً منذ جلست إلى الطاولة.

«ما هي مخططاتك للحصول على بعض اموالي يا عزيزتي؟ ألم يجدر بك أن ترتدي شيئاً أفضل للمناسبة؟ أم أنك اعتقدت أن أي مبالغة في المظهر قد يقلل من نتيجة خطتك؟»

استمرت تحدق به بدون أي كلمة وابتسم لها ببرودة.

قال: «ولكن، رغم هذا تبدين جميلة جداً بهذا الثوب. على كل حال، أريد برهاناً عن مقاصدك قبل أن أوافق على أي شيء.»

كانت الطاولة التي تفصلهما ضيقة، وقبل أن تعترض اقترب منها ممسكاً شعرها بأصابعه الطويلة، شدها إليه ولامس خدها.

حاولت الابتعاد، فالعاطفة كالصاعقة بالنسبة إليها. قد تقضي عليها ان استسلمت لها.

عندما ابتعد عنها شعرت بالدوار وكأنها حست بتيار كهربائي.

نظر اليها ببرودة وقال: «لا بأس كبداية، والآن ما هي حالتك وكم تطلبين؟ كما أنني أريد أن أعلم لما تريدين المال، بالطبع.»

أخيراً قالت: «كيف تجرؤ!»

ضحك وقال: «كيف أجرؤ؟ أهي خطوة مسبقة أم ماذا؟ ما المانع على كل حال؟ لقد قيمنا لماذا أنت هنا، فلماذا نستمر بهذه الألاعيب؟»

قالت بتأثر: «نحن لم نقيم شيئاً من هذا القبيل! فكل ما قلته هو من نسج أفكارك، ولكن يمكن أن تكون دائماً على حق، يا هولدن!»

كانت تشعر أنها متعلقة بخيط صغير من بقايا ثقتها بنفسها. فهذا ما لم تكن تتوقعه، وعلمت أنه لم ينس كل ذلك الحقد عليها، لابد أنه تعرف على نساء غيرها ولكنها ما زالت المرأة الوحيدة التي جعلته يشعر ولو أمام نفسه بأنه أحمق.

قالت بهدوء: «لست هنا من أجل مالك.»

نظر إليها بسخرية وأجاب: «حقاً؟ اذاً لما لا تخبريني لما أنت هنا، لم أعد أستطيع الانتظار، ولكن عليك ان تعلمي أنني أعرفك جيداً.»

قالت بصوت بالكاد يسمع مما جعله يقترب: «لديك طفل يا هولدن... إنها ابنة.»

وللمرة الأولى رأت نظرات الرعب في عينيه وقبل أن تتحول الصدمة إلى أي شيء آخر تابعت بصوت خفيف ولكن بسرعة: «وهي مصابة بمرض اللوكيميا، وتحتاج إلى عملية نقل أنسجة عظمية، وأنت أملها الوحيد، هذا هو سبب مجيئي إليك.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

طالت فترة الصمت بينهما، ولم تشعر ماري بالقدرة لرفع نظرها لرؤية وجهه مجدداً.

سأل بهدوء: «هل هذا نوع جديد من المزاح؟»

قالت بذات الصوت الهامس: «لا مزاح اطلاقاً، فبعدما غادرت السفينة، بعد ذلك الخلاف، استمريت بالعمل لمدة شهرين، ثم بدأت اشعر بالدوار والتعب.» اخذت رشفة من كوبها، لم تكن تجرؤ على النظر اليه بعد. ولكن بعد اصابته بهذه الصدمة، علمت ان عليها ان تعطيه بعض التفاصيل عما حدث معها فتابعت: «اعتقدت بادىء الأمر، انه ربما دوار البحر، ثم بعد ذلك ذهبت إلى طبيبة الباخرة وقالت لي انه ربما تغير الأجواء بين لندن وجزر الكاريبي، أو ربما بسبب الارهاق في العمل، كما انه قد يكون تصرف خاطىء.»

نظرت إليه من تحت رموشها لترى ان الصدمة لم تفارقه كان يبدو وكأنه ضرب بشيء قوي جداً، وغير متوقع وهذا ما جعلها ترتبك اكثر.

تلاشت مع الوقت فكرة اخباره عن فترة الحمل التي مرت بها. كانت تفكر في تلك الفترة انها لو اخبرته لاعتبر انه نوع من الاستغلال للحصول على امواله. وبالأسوء سيحاول ان يأخذ الطفل منها، فهي شابة ولا عمل لديها فبكل المال الذي يملكه سيقنع المحاكم ان بقاء الطفل معه سيكون افضل حل.

ولكن فكرة ابقاء ابنتها سراً عنه كانت دائماً مقلقة لها، وطالما

حاولت اقناع نفسها انه خيارها الوحيد، لذا، عاشت تحت رحمة عمتها وحاولت الاستمرار بالحياة على قدر ما تستطيع.

قالت: «كنت اعلم ان هذا الخبر سيصيبك بنوع من الصدمة.» نظرت إليه ثم اشاحت بوجهها عندما شاهدت الغضب المدمر على وجهه.

صرخ قائلاً بحدة: «نوع من الصدمة؟ لا، لما عليها ان تكون نوعاً من الصدمة؟ الا تدخل كل يوم إلى مكتبك امرأة وتخبرك ان لديك ولد.»

نهض من مكانه وراقبته بقلق.

كان هناك رعب في صوتها: «إلى اين انت ذاهب؟ وماذا تنوي ان تفعل؟» لن يرحل الآن هل سيفعل ذلك؟ ليس بعد ان علم كل الوضع؟ ليس بعد ان علم ان حياة ابنته بخطر وهي بحاجة إلى مساعدته؟

قال متوتراً: «لا استطيع الكلام هنا، لدي شقة في شارع نايت بريدج.»

حاولت الاعتراض: «لكن...» لكنها لاحظت انه هم بالسير متوقعاً منها ان تتبعه، اسرعت بالنهوض والجري وراءه.

وضع بعض المال على الطاولة قبل خروجه، ورأت الخادم يسرع يجمعها محاولاً اللحاق به ليعطيه الباقي، ولكن لم يكن لديه الفرصة فهي بالكاد تستطيع ان تلحق به.

وعندما جلسا في السيارة نظرت إليه بقلق وقالت: «انني آسفة.»

اعتذارها قابله جواب سريع مليء بالغضب.

«اسفك واعتذاراتك بعيدة عن الموضوع الآن.»

سألته وهي تتقد غضباً: «ماذا تريدني ان افعل غير ذلك؟»

كان وجهه كئيباً، مرر اصابعه خلال شعره وقال:

«لنتوقف عن تبادل الصراخ، اخبريني عنها.»

قالت ماري: «اسمها هاريت. وندعوها هاتي، عيناها زرقاوان وشعرها اسود، و...» كيف تستطيع ان تختصر ثلاث سنوات بجملة؟ قد تمضي شهر أو سنة ولا تستطيع ان تخبره كل شيء. فكرت بألم مفاجيء كم فاته من الأمور وتابعت: «وهي ذكية جداً.»

لمحته بسرعة ونظرت جانباً. إذا كان قد كرهها منذ ثلاث سنوات، بعد ذلك النقاش المخيف الذي قضى على احلامها، الآن سيكرهها اكثر بعد ان ابقت ابنته بعيدة عنه.

نظر اليها بقساوة: «كيف استطعت ابقاء الأمر سراً عني؟ هل كنت اخبرتني يوماً ان لدي طفلة لو لم تكوني بحاجة إلي؟» كانت ترى كم يقاوم كي لا يزداد غضبه اكثر. وتابع: «مما تشكو؟» اصبح صوته هادئاً ولكنه بعيد عن اللطف واللياقة. «هل هي...؟»

اجابت ماري وهي ترتجف: «انها ليست بصحة جيدة. وهي بحاجة لعملية نقل انسجة. ونحن نأمل انك ستكون مناسباً لهذه العملية.» كان هناك يأس كامل في صوتها فكيف تشرح له انها تعيش هذا الكابوس بينما هو لم يشاركها به الا الآن؟

«متى استطيع مقابلة الطبيب المختص؟»

«في اسرع وقت ممكن. أنا آسفة...»

قاطعها: «إذا اعتذرت مرة ثانية، سأخنقك.» تراجع إلى الوراء واغمض عينيه.

قالت: «اعلم انني اقلقت حياتك، حتى انني لم اسألك ان كنت متزوجاً، أو لديك عائلة الآن.»

قال وهو ينظر إليها: «ما كان الأمر سيتغير البتة. ولكنني لست متزوجاً، ولا أرغب بذلك. ولكنها ابنتي. هل تعتقدين ان وجود زوجة وأولاد سيجعلون الأمر مختلفاً عما إذا كنت سأوافق على العملية أم لا؟»

صححت له: «ابنتنا.»

رماها بنظرة وحشية، ولم يعلق على جوابها قال: «اين تعيشين الآن؟ وماذا تفعلين في الحياة؟»

«بعد عودتي إلى لندن التحقت بالعمل في شركة عامة، قسم الحسابات. لم تكن هذه رغبتي. ولكن كنت بحاجة إلى العمل بشهادتي الجامعية، ولم يكن لي الخيار، فقد كنت بحاجة ماسة إلى المال. كما انهم عاملوني برفق خاصة بعد ولادة هاتي. فأنا لم اكن مؤهلة للحصول على إجازة أمومة. كنت محظوظة بذلك.»

«محظوظة؟ كان عليك القدوم الي! فأنا من هو مسؤول عن رفاهية ابنتنا! وليس احدى الشركات العامة.»

سألته بقلق: «حسناً، ما هو سبب الخلاف الآن؟» كانت تشعر بأنها ضائعة، لقد تغلبت على تصرفه العدائي، وهي تعلم انه لن يقابلها بالابتسام والتسامح. ولكنها تنوء بحمل ثقيل رازح على كتفيها.

توقفت السيارة امام مبنى ضخم امامه حراس. وتقدمت لتصعد إلى شقته في الطابق الثالث.

فتح الباب ودخل، تبعته بعدما اغلقت الباب وراءها.

نظرة واحدة إلى شقته كانت اعلمتها انه غير متزوج من غير ان تسأله. فكل ما فيها ينم عن ذوق رجل اعزب. الاثاث اسود وضخم، والتصميم غير منسق.

قال وهو يخلع جاكتته ويرميها جانباً: «لم تخبريني اين تسكنين؟»

قالت: «لم اخبرك لأنني لا استطيع مواجهة محاضرة جديدة عن كيف كان يجب ان اهرع اليك عندما علمت انني حامل.»

«اجلسي.»

«توقف عن اعطائي الأوامر! اجلسي، انهضي، تعالي إلى هنا، اذهبي إلى هناك.»

«اجلسي.» صوته كان قاسياً وعالياً، فجلست على احدى المقاعد الجلدية وحدقت به. إلى متى سيستمر بهذه العداوة الضارية؟ سألت نفسها. فكل هذه الغطرسة والعداوة حصلت عليها من خلال لحظات من الحب المدمر.

راقبته بقلق عندما تحرك باتجاهها ليجلس قبالتها.

تنهد بتعب واضح ثم قال: «اخبريني اين تسكنين.» محاولاً ان يسيطر على عداوته لها.

«اسكن مع عمتي.»

قال ببطء: «اذكر انك كنت تذكرين عمتك.» وضع يديه على ركبتيه، وشعرت انها سيغمى عليها عندما نظرت إليه. تذكرت كل ما مضى، وابعدت نظرها بسرعة لم تكن تريد ان تفكر هكذا. هذا التفكير يهددها بفقدان ثقتها بنفسها. فكل ما مضى انتهى، وهو يكرهها الآن اكثر من كونها باحثة عن الثراء والفرص السهلة.

سألته بلطف: «تتذكر؟ لم اعتقد انك تفعل.»

اغمض عينيه وقال: «لقد اخبرتك... اني اتذكر كل شيء عنك، ولماذا تعيشين مع عمتك مع انك لم تكوني على وفاق معها البتة؟»

أجابت على مضض: «لم نكن على وفاق...» كانت تعلم انه يرغب بمعرفة المزيد عنها وعن ظروفها، ولكنها شعرت بالغرابة والخوف من التحدث عن نفسها امامه.

قال وقد نفد صبره: «اسمعي، انا لا ارغب في التدخل بحياتك الخاصة، ولكن اريد ان اعرف أي نوع من الحياة تعيشه ابنتي!»

«ابنتنا.»

ظهرت العصبية على وجهه ثانية لكنها تابعت بتردد: «كنت خائفة عندما رجعت إلى لندن، لم يكن لدي فكرة عما ستقوله عمتي. ولكن لم يكن لدي الخيار، كان يجب ان تعلم، فليس لدي مكان آخر اذهب إليه وحياتي مدمرة.»

اظلمت عيناه، كانت تعلم بما يفكر، حياتها مدمرة وهي حامل وليس هناك مكان تلجأ إليه، أي مكان وأي شخص افضل من الانسان الذي كان سبب في تدمير حياتها.

لن يفهم ابداً ان السبب الوحيد الذي جعلها تفسخ علاقتهما هو نفس السبب الذي منعها من رمي نفسها تحت شفقته.

لم يكن لديه أي نية في تطوير علاقتهما. لم يكن يفكر في الارتباط بها، هذا ما اخبرها به بنفسه كيف كان سيتصرف لو أتت إليه، حاملة حقيبتها وتنتظر للحصول على امواله. من السهل عليه ان يغضب بسبب ابقاء الأمر سراً عنه ولكنه ينظر إلى الأمر من ناحية مختلفة. اما الآن فهي لا تعيش حياة مدمرة، لديها عملها وثقتها بنفسها وعائلتها الصغيرة. ولم تعد يائسة ووحيدة ومنهارة.

قالت: «كنت متوقعة ان ترمي بي خارجاً، ولكنها لم تفعل ولم تغضب من الأمر، كانت سعيدة ان يكون لدينا طفل، حتى كل

www.elromancia.com

تصرفاتها تغيرت وما كنت استطعت الاستمرار لولا معاملتها واهتمامها. وعندما حصلت على وظيفة بعد ثلاث اسابيع من عودتي إلى لندن كانت ترعاني كما ترعى الأم اطفالها.»

قال: «لا شك ان الأمر كان صعباً عليك بكل الأحوال. اريد ان اقول لك انه كان عليك الاتصال بي، كنت خففت من معظم المشاكل التي تثقل على كاهلك.»

«المال ليس كل شيء.»

أجاب بغضب: «ولكنه يساعد.»

التقت عيناهما وشعرت ثانية بالانذار الخطر. فهي لم تستطع التخلص من شعورها نحوه نهائياً. فتجاهله أمر صعب، كانت تعلم ذلك عندما قررت الاتصال به ثانية. ولكنها لم تتوقع ان تشعر بكل هذا الشوق مع انه لا يبدي لها الا الكره.

لم يبعد عيناه عنها، فأشاحت بنظرها إلى يديها وهي قلقة.

قالت لتدافع عن نفسها: «لقد سارت الأمور بطريقة جيدة ولكن بالحقيقة لم يكن هناك مالاً كافياً للانفاق.»

كانت لهجته اكثر لطفاً واقل عداوة الآن: «إذاً كيف أو بالأحرى لماذا تغيرت عمتك التنين؟»

العمة التنين، انها تذكر انها استعملت ذلك التعبير يوماً وهي تصف له عمتها بسخرية، ولكن هل ما زال يتذكر ام أن الأمر مجرد صدفة؟

قالت وكأنها تتخيل الماضي: «في البداية لم استدرك الأمر، ولكن بعد فترة، وضحت الأمور، فعمتي تزوجت قبل فترة قصيرة من ولادتي وزواجها لم يدم، كانت عاقر، ولم يتقبل زوجها الوضع فرحل، كنت في سن المراهقة، وهذا ما

كان يذكرها بنفسها، اما الطفل، الطفل في بيتها كان امراً جديداً، وكأنها اعطيت فرصة للحب والعطاء من جديد، وهذا ما جعلنا صديقتين.» نظرت إليه وسألته السؤال الذي كان يجول في خاطرها منذ وضعت قدميها في مكتبه: «والدتك... كيف حالها؟»

أجاب باقتضاب: «لقد اصيبت بمرض الفالج منذ حوالي سنتين ولم تشف تماماً إلى الآن، وبالكاد تستطيع الكلام.»

«يؤسفني حالها.»

قال وهو ينهض: «اعتقد ان علينا الرحيل حالاً.»

نظرت إليه برعب مفاجيء: «علينا؟»

سار أمامها فركضت وراءه ووقفت امام باب غرفته متوترة وقالت: «علينا؟ ماذا تعني بعلينا؟»

سألته بصوت غريب: «لن تعود معي إلى البيت، أليس كذلك؟» ادار وجهه إليها غاضباً.

«بالطبع سأعود معك، وماذا كنت تتوقعين؟»

قالت وهي تتلعثم: «كنت افكر ان الطبيب المختص سيتصل بك.»

قال بشراسة: «اريد ان اتعرف إلى ابنتي. رغبت بذلك ام لا، وعليك ان تفهمي انك لن تستطيعي أزالتي من حياتك عندما تنتهي حاجتك لي.»

«لم افكر بذلك البتة.»

سألها ببرودة: «إذاً بماذا تفكرين؟ هل اخبرت هاريت عني؟»

قالت: «ليس بالتمام.»

بدا كأنه سينفجر. وقال: «ماذا؟»

www.elromancia.com

«لقد رغبت بذلك! ولكن لم اجد الوقت المناسب لذلك. انها لاتزال طفلة.»

اخبرها بصوت أجش: «حسناً، عليك ان تطوري خطتك قليلاً، وفي هذه الحالة ستدخلينني فيها. الخطوة الأولى اعود معك إلى البيت، الخطوة الثانية اقابل عمتك اما الخطوة الثالثة فهي سأقابل ابنتي كوالدها بالطبع.»

قالت: «ليس هناك من حاجة لقدومك، فنحن نعيش في ذات المدينة، ارجوك.»

«انني قادم معك وعليك ان تتقبلي الفكرة تماماً، كما اني ارغب في امضاء الليل هناك، وهكذا سنقرر ما سنفعل معاً.»

قالت معترضة: «لا يمكنك فعل ذلك.»

«إذاً راقبيني، ثم لما تقفين عند الباب هكذا، لا تنسي اننا كنا على علاقة.»

نظرت إليه بغضب فوجدته ينظر إليها ضاحكاً، فشعرت بالارتباك والخجل.

قالت محاولة اقناعه بالعدول عن فكرته: «لا يوجد غرفة للضيوف في بيت عمتي. ليس هناك غير ثلاث غرف نوم، واحدة لها والثانية لي والثالثة لهاتي. اين تعتقد ستنام؟»

قال ببرودة: «باستطاعتك مشاركة هاتي غرفتها.»

تجاهلت الأمر وقالت: «انه لمن الغباء ان تزعج عمتي لأمر غير مهم.»

«ابنتي أمر مهم كفاية.»

«بالطبع ستراها، فأنا لا انوي ان ابعدها عنك.»

«كما فعلت طوال الفترة الماضية؟ انه أمر رائع ان يكون لديك هذا القلب الحنون الآن، يا ماري، الحقيقة انني لا اثق

بك، ولا اثق بما ستقولينه لها عني. وما الذي يضمن انك لن تخبريها أشياء تجعلها تنقلب ضدي؟»

قالت بصوت أجش: «ثق بي.»

«اثق بك؟ لا تجعليني اضحك. لقد جعلت مني أحمقاً مرة ثم ابقيت ابنتي سراً، وتريدينني ان اثق بك؟» ضحك بمرارة وتابع: «من الافضل ان أثق بنفسي فقط.»

رمى ببعض الملابس في حقيبة جلدية، وكانت تراقبه بحيرة راغبة ان تجد وسيلة ما لاقناعه بعدم الحضور إلى بيتها، ففكرة البقاء بقربه ترعبها. عندما قررت الاتصال به، كانت تتوقع غضبه ولكنها لم تتوقع ان يقحم نفسه في حياتها.

هل حقاً كانت تتخيل انها تستطيع تحديد علاقتهما بزيارة لابنته؟

مر من امامها عائداً إلى غرفة الجلوس متوقعاً منها ان تلحق به وهذا ما فعلته.

قالت: «ماذا بشأن عملك؟ عليك الذهاب إليه ام انك نسيت ذلك؟»

«انا مالك لعملي، وقد قررت ان امنح نفسي إجازة. هل اقتنعت؟»

«حسناً، ماذا بشأني؟ لدي عمل يجب ان اذهب إليه.»

«هذا افضل، فذلك سيمنحني الوقت الكافي لاتعرف إلى ابنتي قبل إجراء العملية.»

شدت على اسنانها باحباط كلي. أليس هذا هو؟ كانت تفكر. لا شك انها فقدت عقلها ان كانت نسيت كم هو مسيطر ومتسلط. فما ان اخبرته عن هاريت حتى تولى كل المهام، وما عليها

سوى الركض للحاق به، محاولة إعادة بعض الثقة إلى نفسها التي حاولت بناءها خلال السنوات الثلاث الماضية.

قال: «هل أنت قادمة؟» وهو يضع يده على اكرة الباب وتوجهت نحوه وكأنها عاصفة.

قال بهدوء مثير: «إذا غضبت اكثر، انا متأكد انك ستنفجرين.»

«وبكل فرح ستعم الفوضى كل هذه المفروشات الباهظة الثمن.» ومرت من امامه متخطية الباب الرئيسي للشقة.

ضحك بجفاف: «عندما يظهر عليك هذا الطبع، تعودين إلى تلك الفتاة المرحة التي تعرفت إليها.»

«الفتاة المرحة تلك اختفت عندما وجدت نفسي مرمية في القعر المظلم من الحياة.» قالت ذلك وهي تسبقه باتجاه المصعد وقد سئمت من اللحاق به.

قال: «إذا كنت ترغبين بلعب دور الشهيدة فهذا كان خيارك.» وضع أصبعه على لوح المصعد والتفت متابعاً: «كنت مددت لك يد المساعدة.»

«لم أرغب قط بمساعدتك.»

«إذاً لا تتذمري من وجودك في القعر المظلم من الحياة.»

قالت وهي تصرخ: «لا تكلمني بهذه اللهجة.»

وصل المصعد إلى الطابق الأرضي، وسارا معاً بصمت. كانت تجول في خاطرها افكاراً متشابكة. ما الذي ستقوله عمتها؟ وماذا ستخبر هاتي؟ عزيزتي، هذا هو والدك؟ كان عليه ان يعطيها الوقت الكافي. فالايام التي مرت بها كانت صعبة للغاية. كانت تعمل بجهدٍ، تهتم بطفلتها ولا تتذمر ابداً عندما لا تجد المال الكافي للأمور الضرورية.

الآن، وخلال عدة ساعات، كل ذلك الهدوء يهتز امامها. فهي لم تصرخ من الغضب من زمن طويل، بالكاد تتذكره. بينما هي الآن تتقد غضباً وكأنها امرأة أخرى.

قال عندما اصبحا خارجاً: «سيارتي في الموقف تحت المبنى.»

سيارته فراري سوداء، فتحت ابوابها من خلال ضغط على مفتاح السيارة في يده. وبسرعة جلست على المقعد واغلقت الباب. كانت متوترة خاصة عندما جلس بجانبها ووضع المفتاح في المحرك. أدار بوجهه إليها وقال بصوت قاس وثابت: «اسمعي، واسمعي جيداً لأنني لا ارغب في إعادة ما اقوله. انك تتصرفين وكأنك طفلة.»

ادارت رأسها بغضب: «أنا؟ اتصرف كطفلة؟ لقد اتيت اليك اطلب خدمة...»

قال باقتضاب: «وهي ان اكون متفهماً وتحت الطلب.»

ردت باذعان: «حسناً، مهما يكن، لم اكن اتوقع ان تغير مجرى حياتي.»

قال بشراسة: «لا تجعليني اضحك! حياتي هي التي انقلبت رأساً على عقب.»

أجابت بسخرية لاذعة: «اعتذر للمرة الألف، ولكن عما تتكلم عن حياتك العملية، أم حياتك الخاصة.»

كانت فعلاً تتصرف كالطفلة ولكنها لم تستطع ان تكبح نفسها ولا ان تسيطر على الغضب الذي اعتراها عندما فكرت انه ربما يقابل امرأة أخرى. مع انها كانت تعلم، انه على حق، فلقد رجعت إلى حياته ومعها قنبلة جاهزة للانفجار. فالأمور لن تعود على حالها بالنسبة إليه.

www.elromancia.com

تمتم: «الاثنان معاً.» ادار المحرك وانطلق بسرعة مجنونة.

سألت بعذوبة: «وكيف هي؟ مخلوقة متفهمة على ما اعتقد متفهمة لدرجة انها ستفهم ان لديك طفلة. اهي من النوع الذي يرضي أمك؟»

نظر إليها من تحت رموشه السوداء وقال ببساطة: «أمي لم تقابلها قط. وكونها متفهمة، حسناً، اعتقد انها ستفاجأ قليلاً، لنقل بسبب تغير وضعي العادي.»

كانت الطريق مكتظة بالسيارات والباصات وكانت سيارته تسير ببطء. فهذا هو اسوء أمر بلندن. وكانت قد قررت هي وعمتها الانتقال للعيش في مكان افضل حيث الهواء النقي والبراري الخضراء تنتشر في كل مكان عوضاً عن منتزهات مكتظة بالناس كل هذا كان قبل مرض هاريت واضطرارهم للبقاء هنا قريباً من المستشفى.

لم تكن متأكدة كيف ستصل إلى بيت عمتها من هنا. ولكن بعد وصولهما إلى مفترق طرق، سألها عن العنوان وقام بمناورة في السيارة فشعرت وكأنه قدم إلى بيتها مئات المرات.

قال: «لقد قضيت معظم ايام عمري في لندن.»

قالت بتعجب: «وانا أيضاً.»

قال بمرح وهو ينظر إليها: «ليس لديك عمر كبير يا ماري.»

أجابت وكأنها تعترف: «ولكني اشعر وكأن عمري مئة سنة.»

ابتسم بفرح وفجأة تذكرت بقلق تلك الابتسامات التي كانت كلها لها، والجو بينهما مليء بالعاطفة والشوق.

قال: «لا شك وجود طفل بحياتك جعلك تشعرين بالكبر.» وتابع: «هل كان ذلك يشعرك بالاستياء؟»

قالت بصدق: «اطلاقاً، مع انني كنت اعيش بقلق دائم. منذ مرض هاتي، اتعلم، لا احد يصدق ان ولده بحالة سيئة، فقط هذا يحدث للأولاد الذين تقرأ عنهم بالجرائد أو تسمع عنهم بالاخبار.»

لم يكن هناك كثافة سير في الطرق الفرعية، ولكن كانت الارصفة مكتظة بالناس. اخذت تراقبهم من النافذة وتفكر إلى اين يتجه كل منهم؟ إلى أي مصير. وترى إلى أين كان هولدن سيذهب لو لم تقتحم حياته؟ سيخرج مع فتاته؟ نظرت إليه محاولة ان تتخيل تلك المرأة. هل علاقته بها جدية؟ تفضل الموت على ان تسأله لأنها لا تريده ان يعتقد انها تهتم لأمره.

وهي لن تفعل، هذا ما قالته لنفسها، لقد كان جزء من الماضي، وقد عاد إلى حاضرها نظراً إلى الظروف، ولكنها تخطت الاحساس به. لقد مضى عليها وقت طويل بعد تركها السفينة وقطعها كل علاقة مع كل من تعرفت إليهم آنذاك. لكنه كان لا يزال بفكرها وكأنه معها في كل لحظة في يومها وليلها. كانت تراه بكل شخص طويل القامة، اسود الشعر يقترب منها، وتسمع صوته في كل محادثة تسمعها وتنصت وتحدق لتكتشف انها مخطئة.

وفي النهاية كان عليها دفع كل الذكريات بعيداً وخاصة بعد ولادة هاتي لقد اعتقد انها تخلصت من الاحساس به.

بعد مرور أربعين دقيقة شعرت بارتباك قوي، فالبيت اصبح قريباً.

ستكون هاتي في البيت مع عمتها، تتناول الشاي، ولا شك انهما تمرحان وتتحدثان وتحاول عمتها كل الطرق لتطعمها المزيد.

كان يمر بها فترات صعبة بين الحين والآخر، تشتاق إلى

وجوده بقربها، ليشاركها عذابها وقلقها. لقد كانت عمتها حنونة ومتفهمة ولكنها تريد أباً لابنتها. هذه الافكار لم تكن واضحة لديها، بل تمر كالخيال. ولكن ها هي الآن تجلس بجانبه وتعلم كم هو رائع وجوده. اقلقها احساسها بهذه الطريقة، لقد انتهت منه؟ أليس كذلك؟

قال قاطعاً عليها افكارها: «أي بيت؟» واشارت إلى بيتها ذات باب ابيض وأمامه حديقة صغيرة بجانبها باب بحاجة إلى دهان.

لم يستطع ان يجد مكاناً لسيارته امام البيت فتقدم قليلاً ثم اوقف سيارته ونظر إليها.

قالت: «اعلم بما تفكر وماذا يدور في رأسك؟»

«هل اصبحت قارئة افكار الآن؟»

«اعلم من طريقة نظرك إلى الشارع ومن تفكيرك انه ليس بالمكان المناسب فأنا لست غبية.» لقد كانت متوترة من مجرد التفكير بمقابلته لابنتهما وعمتها.

قال: «حسناً لديك قدرة جيدة بقراءة الافكار.»

نظرت إليه متوقعة ان تراه غاضباً ولكن وجهه كان هادئاً وهذا ما جعلها تزداد غضباً.

«لا اريدك ان تختال في بيت عمتي، كما لا تفكر في ابداء ازدرائك.» كلامها جعله يتقد غضباً وهذا ما اراحها. كانت تفكر، فعندما يكون غاضباً تستطيع السيطرة على نفسها اكثر. لأن كلامه وابتساماته ونظراته تضعف مقاومتها وتجعل ثلاث سنوات من العذاب قابلة للنسيان.

سأل بصوت أجش: «أي نوع من الناس تعتقدينني؟»

«أنت! ابن أمك!»

«وما معنى هذا الجواب؟»

«لا شيء.» وتذكرت كيف تنصتت إلى ذلك النقاش الذي دار بينهما وكأنه البارحة. وبسرعة وضعت يدها على الباب لتهم بالخروج متوقعة ان يمسك بها لتشرح له ما تعني. ولكن كان يهتم باقفال السيارة وبهدوء شعرت وكأنها تتخاصم مع شيء غير موجود.

قال ببرودة: «خذلتك؟»

«يسعدني ان ترى الأمر كله تسلية أو كأنه نكتة!»

قال بشراسة: «الأمر ليس تسلية ولا مجرد نكتة.» والتقت عيناهما بصمت.

تابع بصوت قاس: «اعلم انك متوترة، ولكن الا تعتقدين انني متوتر أيضاً؟ غير أن الشجار معي لن يجعل الأمر افضل!»

قالت على مضض: «اعتقد انك محق.» كانت تعلم انها تتصرف كطفلة مشاكسة ولكن ماذا تفعل فحضوره يجعلها متوترة وعصبية.

قالت وهي تتنهد: «تعال، تعال وقابل ابنتك.»

www.elromancia.com

الفصل السادس

فتحت الباب لتشعر بالارتياح الذي يؤمنه لها هذا الوقت، فترة تناول الشاي. فعمتها تحدث كل الأصوات الممكنة، مقلدة الطائرة أو القطار أو أي شيء يجعل هاتي تفتح فمها لتتمكن من وضع كمية قليلة من الطعام فيه. إن مجرد اطعامها عمل بحد ذاته.

ابتسمت وهي تقترب لرؤية ابنتها. عينان زرقاوان ووجه كاللعبة يحيط به شعر أسود قصير.

نسيت للحظة وجود هولدن، ثم تماسكت ونظرت اليه. كان قد وضع حقيبته أمام الباب ووضع يديه في جيبه.

نظر إليها وقال: «كنت اعتقد انها في السرير، ألم تقولي انها مريضة.»

أجابت بألم: «انها كذلك، ولكنها تتحمل الأمر بطريقة غريبة مثل كل الأطفال كذلك.»

كان باب المطبخ مفتوحاً، دخلت ماري أولاً وهي تضحك لابنتها التي وقفت لمواجهتها وهي تضحك.

قالت عمتها بفرح: «لقد أكلت نصف الطعام، ولكن ليس بدون كل الأساليب المعهودة.» كان هناك حشرية واضحة في عينيها فهي ترغب أن تعرف ماذا حصل معها. ولكن هاتي هنا ولا بد لها أن تنتظر حتى تصبحا لوحدهما.

قالت هاتي: «لست جائعة، اماه هل أحضرت لي هدية؟»

اقتربت منها من وراء طاولة حمراء كانت ماري قد اشترتها منذ فترة قريبة.

قالت ماري: «نوعاً ما.» ونظرت باتجاه عمتها التي رفعت رأسها لترى هولدن فاعترت الدهشة وجهها.

تقدم هولدن ولم يظهر عليه التوتر ولكن هناك تأثر واضح على ملامح وجهه.

قالت عمتها: «ماري، أنت لم...»

قاطعها هولدن بصوته العميق ونظراته الساحرة التي سيطرت على ماري من النظرة الأولى: «لم تكن تعرف. سيدة...؟»

«بالين، أديت بالين.» وقفت وهي تحدق به وتمتمت: «سأحضر الشاي، اترغبان بذلك.»

سألت هاريت وهي تنقل نظرها بين هولدن وبين أمها: «من هو هذا الرجل؟»

قالت ماري وهي تتنهد: «عزيزتي... انه...»

قال هولدن: «صديق، اسمي هولدن غراي ستون.» ومد يده ليسلم عليها فنظرت إليه بتردد وهي تقول: «لا يسمح لي بالتحدث إلى الغرباء.»

نظر إليها باهتمام وهو يبتسم لذلك الوجه البريء: «رأي صحيح.»

أخذت أديت تشغل نفسها بالمطبخ وحاولت ماري ألاّ تضحك فتعابير الفضول على وجه عمتها ظاهرة.

قالت لهاريت: «لنذهب إلى غرفة الجلوس.» واستدارت نحو عمتها وتابعت: «تحتاجين لمساعدة، يا عمتي أديت؟»

قالت عمتها: «لا.» وهي تجهز صينية الشاي.

ودخلوا معاً إلى غرفة الجلوس، فكرت ماري، علينا أن

www.elromancia.com

نكون عائلة، عوضاً عن بالغين في ساحة المعركة طوال الوقت وابنتهما في الوسط.

أمسكت هاريت بأمها وبقيت تحدق بهولدن. أما هولدن فقد كانت تعابير وجهه غامضة. جلس على الكنبة ونظر حوله، ولكنه لم يشعر بالشجاعة للاقتراب من ابنته. شعرت ماري بذلك من كثرة تحديقه بهاريت. وكأنه يريد أن يتأكد من انها ابنته.

قالت هاريت من غير ان تشعر بجو التوتر المسيطر على الغرفة: «سأصبح في الثالثة بعد فترة، وستهديني أمي الحصان الصغير في ذكرى مولدي. هل لديك حصان صغير؟»

ابتسم هولدن ونظر إليها بلطف: «لا، لا يوجد عندي، هل يجب؟»

سؤاله جعلها تنظر إليه بدهشة وهي ممسكة بيد أمها.

قالت ماري وهي تحملها لتضعها في حضنها: «هولدن هنا لمساعدتك، لأنك مريضة.»

قالت هاريت له: «سيجرى لي عملية، وأمي تقول انني بعد العملية سأصبح في صحة جيدة.»

قالت ماري لابنتها: «عزيزتي، نتمنى ان هولدن سيساعدك على الشفاء.»

قالت هاريت وكأنها سئمت من التحدث عن صحتها: «تصاب أمي بالجنون عندما اضع اللصق على لعبتي.»

دخلت أديت وهي تحمل الصينية ثم وضعتها على الطاولة في الوسط، وسكبت الشاي من دون ان تنظر إلى هولدن. وفكرت ماري كأنهم يلعبون دوراً في مسرحية من غير أن يعرفوا النص جيداً.

قالت أديت: «هيا هاريت، حان وقت الاستحمام.» أمسكت بيدها وتابعت: «قولي وداعاً للسيد غراي ستون الآن.»

«اريد ان تقرأ أمي لي قصة.»

قالت ماري وهي تضحك: «سأفعل، ولكن بعد الانتهاء من استحمامك.» هذه كانت عاداتهم، تناول الشاي الذي يستغرق بين العشر دقائق إلى ساعة ثم فترة الحمام التي تلعب بها هاريت مع لعب البلاستيك وأخيراً قصة المساء في السرير. والتي كانت دائماً أما الدجاجة الحمراء أو الدبب الثلاثة. نظرت إلى هولدن الذي وقف حالما خرجت هاريت مع عمتها. وبدأ يمشي بخطى واسعة في الغرفة.

قالت بهدوء: «اشكرك لأنك لم تخبر هاريت من أنت، سأشرح لها الأمر في مناسبة أخرى، عندما أجد الوقت المناسب.»

لم يجب فتابعت: «هل لك أن تجلس. انك تثير اعصابي.»

قال وهو يغلق باب غرفة الجلوس: «آه حقاً، هل أثير اعصابك؟ لم أرغب بذلك، اتعتقدين؟» مرر اصابعه بشعره وكانت عيناه تلمعان من الغضب.

«لا أدري لما أنت غاضب...»

اقترب منها واضعاً يديه على جانبي كرسيها، فانكمشت على نفسها بتوتر.

قال: «لديك معرفة تامة لما أنا غاضب، فأنا أشعر وكأنني دخيل هنا، غريب أمام ابنتي التي هي من لحمي ودمي.»

قالت بصوت ناعم: «بالطبع ستشعر هكذا.» كانت تتمنى لو يبتعد عن كرسيها وينتقل إلى أي مكان آخر في الغرفة. تابعت: «فأنت لا تعرفها.»

www.elromancia.com

قال ببرودة: «هذا ما اتكلم عنه بالتحديد.»

تنهدت بصمت: «لا، لن تعود لذلك ثانية، ألم نناقش هذا الموضوع بما فيه الكفاية.»

قال بحدة: «لا، فهذا الوضع كله شيء من الجنون.»

قالت غاضبة من اتهاماته: «لم اطلب منك المجيء إلى هنا. أنت من رغب أن يكون ضيفاً بدون دعوة.»

لم يعجبه الأمر فأمسك بيدها، وهذا ما جعلها تضطرب فالاقتراب منه يربكها.

قال: «كم هو شعور رائع، أن اكون ضيفاً بجانب ابنتي.»

قالت بغضب: «ليس هناك من فائدة في اعادة الموضوع مراراً وتكراراً، لن اسمح لك...»

«ماما.» وصل صوت هاريت من الطابق العلوي وكأنه أمر. فنظرا معاً نحو الباب بدهشة.

قالت ماري: «تريدني أن اقرأ لها قصة، فاذا سمحت دع يدي.»

ترك يدها ونظر إليها بتحد وقال: «سأصعد معك.»

هزت ماري كتفيها بلا مبالاة، ولكنها كانت منزعجة من دخوله حياتها ونوعاً ما كانت متفهمة للأمر وليس أكثر.

وقفت من دون أن تنظر إليه ولكنه أمسكها من كتفيها فاستدارت لمواجهته.

سألها: «ماذا اخبرتها عني؟»

«عما تتحدث؟ لم تسنح لي الفرصة للتحدث معها منذ دخلنا.»

قال بانزعاج: «لا تظهري ذكاءك الآن، اقصد ماذا اخبرتها عن أبيها؟»

«انها لم تسأل في الحقيقة، فلم تزل صغيرة لتسأل لماذا هي بدون أب!»

هذه لم تكن الحقيقة، ولكن لم تستطع اخباره. فمؤخراً سألتها هاريت عن والدها، لأن كل اصدقاءها الصغار لديهم أباء. ولكن ماري تجاهلت الأمر، وانتهت المناقشة.

«كم هو أمر مريح لك.»

«توقف عن التصرف معي هكذا، أنت هنا الآن، رغبت بذلك أم لا. فلما لا نجعل الأمر أفضل لها؟»

سمعا كلمة «ماما» ثانية ولكن هذه المرة وكأنها حالة طارئة. تبعتها: «هل أنت قادمة؟» فترك يدها بسرعة واتجهت ناحية السلم وهي مضطربة من كونه يسير وراءها.

كانت تعلم انها ما زالت تذكر الكثير عنه ولكنها تأكدت انها نسيت الكثير ايضاً، نسيت كم حضوره يشتت أفكارها. انها لا تراجع الا نقاشهما الأخير ولكن الآن انذار بالخطر يبدو وكأنه منطقي ومعقول. كان خطراً وغامضاً ويهدد احساسها بالأمان بشكل واضح.

بيت عمتها كان حقيراً، وكل ركن منه محشو بالاثاث بشكل تام وطالما حاولت تغيير ترتيبه لتجد أمكنة أوسع. تذكرت شقة هولدن الفخمة الواسعة فشعرت بالضيق.

قالت لعمتها وهي تحاول الابتسام: «شكراً يا عمتي أديت، سأتولى الأمر عنك من هنا.»

ابتسمت عمتها ومرت أمام هولدن ثم خرجت وهي تغلق الباب وراءها.

كما في المطبخ كذلك في غرفة هاتي فلقد ملىء الغرفة بحضوره وكانت هاريت تحدق إليه وهي مشتتة.

قالت ماري وهي تجلس بجانبها على السرير: «سنقرأ لك قصة معاً.»

استدار هولدن وجلس على الطرف الآخر من السرير.

سألتها وهي تحاول ابعاد نظرها عنه: «ماذا ترغبين أن أخبرك؟ الدبب الثلاثة أم الدجاجة الحمراء؟» هذه القصص كانت تقرأها من كتاب فيما مضى ولكن بعد أعادتها مئات المرات أصبحت متأكدة أن ابنتها قد حفظت الصور عن ظهر قلب.

قال ببساطة: «أعرف قصة أخرى.» ومن خلال الضوء الباهت لمحت ابنتها تحدق به باعجاب فشعرت بألم غريب.

سألته هاريت بصوت ناعم: «حقاً؟»

أومأ برأسه وقال: «الولدان والخياط.»

صححت ماري بطريقة عفوية: «والاسكافي.»

رفع حاجبيه ونظر إليها قائلاً: «إنها قصة مختلفة.»

أجابت: «بالطبع.»

بدأ: «انها قصة أخ الاسكافي.» وبعد خمس دقائق كانت هاريت سعيدة ومقتنعة. كانت تصغي باهتمام حتى نهاية القصة.

بدأ النعاس يدب في اجفانها فنامت، بينما كانت ماري تشعر بعداء غريب نحو هولدن الذي يتسلل كاللص في حياتها ويهتم بابنتها، ولكنها لم تنكر أن تعرفه إلى إبنته لم يكن مقلقاً كما توقعته.

قبلت ابنتها قبل أن تغادر الغرفة وسمعته يتمتم: «عمت مساء.» قبل أن يلحق بها.

قال بصوت خفيض: «انها مذهلة.»

ابتسمت وقالت: «هل أسمع ملاحظة من الكبرياء الأبوي؟»

قال بصوت مقنع: «بالطبع، فهي تشبهني تماماً.»

اجابت موافقة: «بالطبع، كما انها جميلة ايضاً.»

«إنها إبنتي.»

كانت أديت في المطبخ، تغسل فناجين الشاي، نظرت إلى هولدن وهي تنشف يديها.

«هل ستبقى إلى العشاء، يا سيد غراي ستون؟»

نظر باتجاه ماري ثم إليها وقال: «أجل، أعتقد، ولكن هل أستطيع أن أستحم، إذا كان ذلك ممكناً؟»

أومأت ماري بالموافقة.

عندما خرج من المطبخ نظرت عمتها صوبها ولكن ماري قالت بمرارة: «ماذا كنت أستطيع أن أفعل؟ فما أن أخبرته عن هاتي، حتى جن جنونه.» جلست على كرسي الى طاولة المطبخ وجلست عمتها قبالتها.

«صدمت، هذا ما توقعته، هل سيبقى هنا؟»

رفعت ماري نظرها بخوف: «بالطبع لا، لقد أصر على القدوم الليلة ليتعرف إلى ابنته، ولكن غداً سيرحل، سأزور الطبيب غداً وسيتصل به عندما يرى الوقت مناسباً.»

صرحت عمتها: «لا يبدو من النوع الذي يرحل بسهولة، خاصة إذا كان لا يرغب بذلك.»

قالت بصعوبة: «بالطبع سيرحل، فلديه بيته الواسع، ولن يبقى هنا إطلاقاً، لديه شقة فخمة وشركة كبيرة.» كانت تحرك يديها بتوتر ظاهر، مما جعل عمتها تمسك بهما بعطف وتقول: «عليك التفكير بهاتي.»

فتحت ماري فمها لتعترض، وقبل أن تتفوه بكلمة تابعت

www.elromancia.com

عمتها بصوت لطيف: «انك تدبرت الأمر جيداً في السنوات الماضية، لقد قمنا بذلك معاً، ولكنه الآن هنا، ولن تستطيعي ازالته من حياتك عندما ترغبين بذلك، فلا شك أنه يريد أن يرى ابنته، وله كل الحق في ذلك.»

قالت بعداوة ظاهرة: «لماذا له الحق؟»

«لأنه والدها.»

قالت بحدة: «هناك فرق واضح، فهو لم يرغب بي أبداً أكثر من علاقة عابرة وأمه كانت ترى انني غير مناسبة له، وهو أيضاً لم يشك لحظة انه مخطىء باتهامي أنني كنت معه من أجل ماله. فمن الذي يعطيه الحق إذن؟»

قالت عمتها بمنطق: «هذه هي الدنيا.»

وقفت عمتها وقالت بسرعة: «ماذا سنطبخ؟ لدينا لحم ولكن فقط شريحتين، ماذا تقترحين؟»

«أعتقد علينا طبخ اللحم الذي عندنا، وبامكانه الأكل في أي مطعم يرغب به، كما أن لديه صديقة. فلما لا يخرج معها.»

نظرت عمتها إليها باصرار: «لا تشعرين بالغيرة، أليس كذلك يا ماري؟»

ضحكت ماري: «الغيرة؟ ما هذه الفكرة! لما علي ذلك؟»

تابعت بوضوح: «فالذي جرى هو من الماضي، وبالحقيقة انه يشعرني كم كنت مخطئة، إذا كنت تريدين أن تعلمي.»

«هل هذه هي الحقيقة؟»

قالت بتحد: «الحقيقة، أنها أكثر من حقيقة.»

«ما هي؟» صوته أجفلهما. ظهر عند الباب، وشعره ما

زال رطباً، ويرتدي قميصاً زرقاء باهتة اللون وبنطال من الجينز، لم تره من قبل يرتدي جينزاً، كان يبدو رشيقاً وجذاباً. وشعرت أن عمتها تنظر إليها بحذر، تصنعت ابتسامة على وجهها وقالت بتهذيب: «لا يوجد لدينا سوى شريحتين من اللحم، وبمعنى آخر، لا يوجد طعام كافي لاطعامنا نحن الثلاثة.»

قالت عمتها باندهاش: «ماري!»

تابعت ماري: «لقد ذكرت ان لديك صديقة، فلذلك أرجوك لا تشعر انه يجب عليك البقاء هنا وتناول العشاء معنا.» كانت تكره احساسه بالرغبة في جرحه مجدداً بعد كل ذلك الوقت، فما عليها سوى ألاّ تشعر بأي فرق بحضوره، فما زال يشعر أنها أقل من مستواه واتهاماته ما زالت تجول في خاطرها.

تجهم وجهه ولكنه لم يقل أي كلمة، بدأت عمتها بتجهيز الطاولة واقترب منها ليساعدها.

ليس هناك أفضل من الاحساس وكأنك في بيتك، أليس كذلك؟ فكرت بمرارة، تصرفه أدهش عمتها ولكنها لم تقل شيئاً أيضاً بل بكل سرور ناولته غطاء الطاولة، ثم الصحون وأخذا يتحدثان بينما جلست ماري صامتة.

قال: «لما لا نتناول طعاماً جاهزاً؟» فوافقت عمتها على الفور، وهذا ما أشعل غضبها.

قالت عمتها: «لدي قائمة بأسماء المطاعم في مكان ما، سأذهب لابحث عنها، فأنا وماري لا نتناول طعاماً جاهزاً دائماً.»

قالت ماري: «لا، لا نستطيع تأمين كل هذه الرفاهية.»

www.elromancia.com

فتحت عمتها فمها لتتكلم، ثم غيرت رأيها، وغادرت المطبخ لتبحث عن القائمة. سمعت ماري وقع خطواتها على السلم لم تنظر ناحية هولدن فقد كانت تتصرف بغباء بدلاً من أن تتصرف كراشدة ولكن وجوده هو سبب توترها وغضبها.

سألها ببرودة: «وماذا يعني كل هذا؟» هزت كتفيها بلا مبالاة، فلو كانت تستطيع أن تنظر إليه ولا تتأثر لكانت استطاعت التصرف بغير مبالاة.

قالت بصوت هادىء: «إنه لا يعني شيئاً، فقط مجرد حقيقة واضحة، أنا وأديت ليس لدينا المال الكافي، وليس من المستحسن أن تجعل حضورك إلى هنا محبباً بالنسبة لهاتي او أديت بتبذيرك المال هنا وهناك.»

دار حول الطاولة بسرعة، أمسك بكتفيها وسمرها على حائط المطبخ.

اندفع قائلاً: «والآن اسمعي جيداً، لا أنوي أبداً جعل حضوري هنا محبباً، لم يكن هناك طعاماً كافياً فاقترحت بديلاً لذلك.»

«لدي اقتراح آخر، ويدعى المغادرة. تفتح الباب الأمامي، تخرج منه، وتغلق الباب خلفك، وتتناول عشاءك في المكان الذي تريده.»

قال بضيق: «أنا هنا، ولن أجبر على الرحيل من أجلك وانظري إلي عندما أتكلم معك.»

رفعت عينيها وعلى وجهها تعابير من الغضب والتجهم.

قالت: «آه، حسناً، لن أبدأ بحرب عالمية ثالثة هنا من أجل أن تأكل طعاماً جاهزاً أم لا.» كانت تأمل أن يخدع بهذه

الحيلة ويتركها، ولكنه لم يفعل، بل بقي يحدق بها، وشعرت أنها لن تستطيع ابعاد نظرها عنه.

وتغير الإحساس بينهما، وهي لم تعرف كيف ولماذا، كان ينظر إليها بحدة ولكنها شعرت بحرارة في داخلها مما جعلها تحاول التملص من قبضته غير أنه دفعها بقوة أكبر نحو الحائط.

سألها: «هل كنت حقاً تسعين وراء مالي؟» وشعرت أن عليها تجميع أفكارها لتفهم عما يتكلم، كانت تتظاهر انها لا تفهم عما يتكلم مما جعله يتابع بحدة.

«لا تخبريني أنني كنت مجرد رهان كنت ترغبين بالفوز به، لقد أمضيت وقتاً طويلاً، طويلاً جداً أفكر بذلك، ولم أصدق أنني ممكن أن أخدع بك، أنا أعلم ماذا سمعت وهذا الكلام بقي يدور في رأسي مراراً ومراراً، ولكني لم أقتنع أنك من الفتيات اللواتي يقمن بهذه الألاعيب.»

«دعني وشأني.»

«ليس قبل أن تجيبي!»

«لماذا؟ وما هي الغاية في ذلك؟ فالذي انتهينا عليه لن يغير واقع أن لدي طفلة منك، وأنها مريضة، وأنك هنا الآن.»

«أجيبي!»

«لِمَ علي ذلك؟ ما كنت شعرت بشيء تجاهي بطريقة أو بأخرى عندما وجدت من السهل عليك أن تصل إلى كل استنتاجاتك الخاطئة عني.»

«ماذا كنت تريدين أن أشعر تجاهك؟» سألها بقلق ولكن لا، ليس هناك من طريقة لجعلها عرضة للسقوط ثانية.

قالت: «لا شيء، لقد كان لقاء غير موفق، انها غلطة.»

قال بألم: «وأنظري ماذا نتج عن تلك الغلطة.»

www.elromancia.com

تمتمت: «هذا ليس عدلاً، ابنتي هي حياتي كلها، أحلامي وعالمي كله، وما أنت هنا الآن إلا لأجلها.» نظرت إليه بتحدٍ ولكنها كانت تشعر بالارتباك لأنها تشعر بحضوره بشكل غريب وهذا ما لا ترغب به، فمن الصعب علينا التخلص من أي شيء له جذور بداخلنا.

قالت بضيق: «هل انتهيت؟»

تمتم بصوت أجش: «ليس بعد.» وقبل أن تتحرك لتتجنبه كان قد هم بتقبيلها.

قالت بصوت هادىء وقد غمرها الغضب وهي تبتعد عنه: «لا أريدك أن تلمسني ثانية.»

قال بسخرية: «لماذا؟ لأننا من عالمين مختلفين؟ أم لأنك لا تتحملي أن أكون بقربك؟»

«إنها الحقيقة!»

«إذاً عليك اخبار نفسك بذلك لأنني مما رأيته فشعورك مختلف.»

ضحك ولم تستطع تمالك نفسها، ولكنها تنهدت بأسى وقالت: «إنك تثير اشمئزازي.»

تقدم باتجاهها، وجهه قاسياً كل تعبير فيه ينم عن تهديد مخيف.

قالت وهي تحاول التمسك بأي شيء لتمنعه من الاقتراب أكثر: «لديك صديقة أليس كذلك؟» فبعد سنوات من الأسى قد حصنت نفسها جيداً من هذه الأحاسيس التافهة، ولكنها كانت مخطئة، وعليها أن تواجه الحقيقة الآن.

وهذه الحقيقة أرعبتها، فلقد ابتعدت عنه سابقاً لأنها رأت علاقتهما ستؤذيها وهذا ما لم يتغير حتى الآن.

وافق بنعومة وهو يقترب منها مجدداً: «نعم لدي، ولكن خلال أربع وعشرين ساعة تغيرت كل حياتي، ولا أعتقد أن تلك العلاقة ستثمر في الوضع الراهن.»

فكرت ماري بتلك المرأة التي لا تعرف اسمها ولا وجهها وشعرت بألم مفاجيء حيالها. هل كانت تعيش حلم أن هولدن غراي ستون هو حبها الوحيد؟ وشعرت بالمرارة تخنقها.

قال وكأنه قرأ أفكارها: «لم يكن الأمر جدي بيننا، فلن تشعر بالأسى، ومن يعرف ربما تشعر بالراحة.»

«ماذا تعني بذلك؟»

«علمت رابيكا انني قضية خاسرة، وهي ذكية جداً لتتمسك بقضية خسارة، فهي تريد الزواج، وهذا ما لن تحصل عليه معي، اننا نتقابل منذ أسابيع وعندما سأخبرها بالأمر...» تردد ونظر إليها نظرة غريبة وتابع: «سترحل مع قليل من الندم.»

فكرت بمرارة، مازال يرفض الزواج، لن يتغير أبداً أليس كذلك؟

سمعا وقع خطوات تقترب وملامح من الراحة ظهرت على وجهها رأى ذلك بوضوح وهذا ما أزعجه.

تمتم قائلاً: «لم ننته من معالجة الأمر بعد.» وشعرت من خلال صوته برعشة من الخوف، دخلت عمتها المطبخ وهي تحمل قائمة طعام في يدها.

قالت بفرح: «وأخيراً وجدتها، في صندوق اللعب، كانت هاتي تستعملها كلوح للرسم، ولكن أعتقد أننا نستطيع أن نتبين عدة أنواع من الطعام عليها.»

www.elromancia.com

كانت ماري تزال ترتجف مما حدث معها، وحاولت قدر الامكان الابتسام لعمتها وشعرت بالراحة عندما نظرت عمتها نحو هولدن الذي اقترب منها ليقرأ القائمة، صوته كان عادياً، ناعماً عندما بدأ يقرأ أنواع الطعام ويتساءل عما سيأكلون؟ وكم يبعد المكان؟ وما هي الطريقة الأسهل للوصول إليه، كل احساس بالتوتر زال من الغرفة مما جعلها تشعر وكأنها تتصور الأمور وتضخمها.

ماذا كان يعني عندما قال انه لم ينته من معالجة الأمر بعد؟ الأفكار كانت تضج في رأسها بينما تحاول الابتسام وملاحقة الحديث، ولم تشعر كم كانت متوترة الا عندما غادر المكان ليحضر الطعام. فجلست براحة.

سألتها عمتها باهتمام: «مهما كان الأمر، ما بك؟» وحاولت ماري أن تضع يديها على وجهها لتخفف من توترها وقالت: «لا شيء مهم.»

«إنه أمرٌ مؤلم، أليس كذلك؟ لقد عاد إلى حياتك بعدما أقنعت نفسك أنك تخلصت من الإحساس به؟»

أومأت ماري بقلق وتابعت عمتها: «أعلم هذا، فعندما رحل طوم، ترك فراغاً كبيراً في حياتي، ولم أكن أعلم كيف كنت تصرفت لو عاد بعد سنين.» توقفت عن الكلام، لتستعيد الماضي الحزين، لكنها عاودت الكلام بسرعة: «أعتقد وجوده هنا يعني الموافقة على اجراء فحوص طبية له لمساعدة هاتي؟»

ردت ماري بثبات: «بالطبع، لم يكن هناك لحظة تردد، علي الاتصال بالدكتور هيلبورن غداً، لتسوية الأمر.» وكان هناك فكرة تراودها لتعيد الأمور إلى ما كانت عليه ولكنها

نبذتها مع خيبة أمل. فكيف ترجع الأمور إلى طبيعتها بوجود هولدن غراي ستون، فان رغبت بذلك ام لا فحضوره سيكون دائماً في حياتها.

زال توترها شيئاً فشيئاً، وما أن عاد حاملاً معه الطعام حتى كانت قد أعادت السيطرة على نفسها تماماً. تمكنت من التخلص من أفكارها المضطربة. فعودته هي الأمل الوحيد لهاتي... وهذا ما لن تبعده عن أفكارها. وبعد أن تشفى ابنتها، سوف تتدبر أمر غيابها كلما أراد أن يزور ابنته، فهي تعلم أنه ليس عليها التعامل معه بأكثر من ذلك، فهي ستستمر بحياتها، وبالطبع ستقابل انساناً متفهماً لطيفاً ومحباً وستتزوجه واضعة كل خيالات الماضي وراءها.

كانت ماري تعلم أن الطعام الصيني الشهي، يجعلها تستفيق صباحاً مع بعض الصداع. دار الحديث بين هولدن وأديت وبالكاد كان ينظر إلى ماري وعندما فعل كانت نظراته مبهمة.

وقد علمت من خلال الحديث أن لديه باخرتان اضافيتان غير تلك التي عملت عليها. وهو مشروع استثماري ضخم ولكنه أيضاً يعتبره كهواية مفضلة لديه. وبمناسبة الحديث فقد دعاهما مع هاتي إلى استعمال أي باخرة وفي أي وقت وإلى أي مكان يرغبان بالسفر إليه وكل ذلك بالطبع على نفقته. اهتمت عمتها بالموضوع ولكن ماري تمتمت ببرودة وتهذيب: «لا نفكر بالأمر البتة.» وهذا ما جعله ينظر إليها بضيق.

قال وهو ينظر إليها: «لما لا؟ فقد كنت مولعة تماماً بالتجوال عبر البحار في الأيام الماضية.»

شعرت بكلامه المبطن حتى ولو قاله بطريقة ناعمة.

ابتسمت وقالت: «تلك الأيام قد انتهت، ولدي طفلة الآن. وذوقي تغير، وبصراحة لا نية لدي لاعادة الماضي.»

وبطريقة عاجلة غيرت الموضوع، وبدأت تتحدث عن خطتها لليوم المقبل. فهي ستتصل بالطبيب المختص، وتمنت أن يجري فحص الدم لهولدن بأسرع وقت ممكن.

قالت: «سأذهب معك.» ووافق. كان يفهم حاجتها بأن تكون في كل خطوة يقرر فيها مصير ابنتها.

تعاونوا على تنظيف الطاولة، ولأول مرة شعرت بالراحة معه وهي تتحدث عن هاتي، ودار الحديث عن مرضها وعن العملية التي ستجري لها هي وهولدن.

لقد شرح لها أطباء عدة مرض ابنتها، كما أنها لم تفوت أي فرصة للاطلاع عن مرضها. جلسوا في غرفة الجلوس يتناولون القهوة بينما تولت هي الحديث وكان هولدن وعمتها يستمعان إليها.

ثم استأذنت عمتها تعتذر بأنها تريد القراءة قبل النوم في غرفتها.

قالت: «يجب أن تشفى تماماً.» ونظرت إلى وجهه المتهجم.

«لنأمل ان تشفى تماماً.»

«هل حقاً تعتقد ذلك؟»

قال: «بالطبع أعتقد ذلك، أنت خائفة، أعلم هذا ولكن الأمور ستسير على أفضل ما يرام.»

نظرت إليه نظرة خائف من أمل كاذب وشعرت براحة غريبة بأنها تتشارك معه بمشاكلها. فدم هاتي هو دمه أيضاً، ولا أحد يستطيع أن يشعر بقلقها مثله.

همست قائلة: «الخوف أمر مريع، انه يعيش معك ويأكل من أعصابك، حتى أنك تبني حياتك عليه، فيقودك إلى الجنون، صحة هاتي كانت دائماً ضعيفة. ثم تطور الأمر إلى مرض وأصبح فجأة مرضاً خطيراً... لذا أخذتها إلى المستشفى.» ونظرت إليه بأسى وحزن.

قال بجدية: «لا ليس عليك، فالأمل هو شعور قوي كالخوف تماماً. وهذا ما يجب أن يقودنا الآن معاً.»

كان قد انتصف الليل قبل أن يدخل كل منهما إلى غرفته، وقد اعترفت أنه كان مستمعاً رائعاً. لطالما كانت بحاجة إلى شخص تفرغ له كل مآسي قلبها.

لقد عاد إلى حياتها، وعمتها لم تكن مخطئة عندما قالت ان له كل الحق ليكون شخصاً مفيداً لابنته، وحتى ولو كان غائباً مدة ثلاث سنوات.

وهذا ما كان يخيفها تماماً.

www.elromancia.com

الفصل السابع

كانت الأيام التالية إمتحان عسير لضبط الأعصاب فحوصات الدم أجريت وبدأت عملية الانتظار للنتائج. وكانت ماري تعلم أن هذه هي أسوء الأيام من خلال تجاربها السابقة. كانت تتأرجح بين الأمل واليأس. لقد عادت إلى عملها ولكن التركيز أمر مستحيل.

سألها هولدن بينما كانا يغادران المستشفى بعد إجراء الفحوصات: «تشعرين بالرعب، أليس كذلك؟»

نظرت إليه بغضب مدمر من التعب والخوف.

«ماذا تعتقد؟ لقد هجوتني كثيراً لأنني لم أخبرك بأنني حامل، ولكن الآن أنت تشارك في مرض هاتي! العلاج، واليأس الواقع بنا. ولا تنسى أنني ألاحظ تراجع صحتها تحت ذلك الوجه الطفولي الرائع. كما أن إجراء الفحوصات وانتظار الوقت لنكتشف ان كان هناك أمل أم لا، بالطبع كل هذا يشعرني بالرعب.»

نظر إليها بشراسة، لأنها تقلب الوقائع ثم هز رأسه بقلق وقال: «اسمعي، ليس هناك من حاجة إلى كل هذا التوتر، فهو ليس بالأمر الجيد بالنسبة إلى هاتي، أليس كذلك؟»

«ولا أن نبتهج متظاهرين بأن الأمور تسير على خير ما يرام. ثم لا تخبرني ما هو جيد بالنسبة لهاتي وما هو سيء لها. فلدي خبرة ثلاث سنوات أكثر منك.»

قال بغضب ظاهر: «وهذا أمرٌ لا يدعوك إلى الافتخار

به.» أمسك بمعصمها بقوة وتابع: «اسمعي جيداً يا ماري، علي الرحيل لبضعة أيام، وبالتحديد حتى تظهر النتائج، عندها سيتصل بي الطبيب والآن تمتعي بحياتك كما تشائين، لأنني عندما أعود ستتغير الأمور.»

من الصعب عليها الاعتراف انها كانت ملاحظة مفرحة في لحظة الوداع. ولكنها لم تتوقع الفرح من خلال علاقتهما. وبطريقة ما كانت تخاف من ذلك.

لم تستطع اخباره أن التمتع بحياتها الآن أمر مستحيل، فكيف تستطيع المضي في حياتها طالما كل فكرة عن هاتي مرتبطة بالتفكير به؟

التفكير بالأمر الآن يذهلها كيف أنها لم تفكر بالصدمة التي ستسببها من وجوده ثانية في حياتها. فلقد ظنت بسذاجة أن عذاب ثلاث سنوات كفيلة بمحو كل تأثير له على إحساسها.

توقف الباص في زاوية الشارع، ونزلت بسرعة متجهمة وغارقة في أفكارها.

فكل هذه السنوات كانت تدفع ذكراه إلى أعماقها معتبرة أن ذلك أفضل حل لها، ولكن عندما قررت هي وعمتها الاتصال به، تعاملت مع وجوده وكأنه أمر عادي لا يسبب لها أي ضيق ولكنها كانت ساذجة تماماً بهذا التفكير.

كانت ما تزال تفكر عندما رأت عمتها تلوح لها من بعيد. تلوح بجنون وتضحك أيضاً، عندها بدأت ماري بالركض، لا شك ان النتائج ظهرت، لم تكن تتوقع اتصال الطبيب قبل المساء. عمتها فرحة والأمل جعلها تشعر بالدوار وكأنها مريضة، فالأمل أمر خطير هذا ما قالته لنفسها، لكنها لم

تستطع ابعاده عن أفكارها. فالأمل قوي كالخوف هذا ما قاله لها هولدن.

قالت أديت: «أخبار جيدة.»

«يعني دم هولدن...»

«اتصل الطبيب منذ ربع ساعة، هيا ادخلي. هاتي تلعب عند اميلي فبامكاننا التحدث من دون أن تقاطعنا. عزيزتي...» دخلت ماري وهي تلاحظ يدي عمتها ترتجفان تابعت: «لقد تحدث معي الدكتور هيلبورن بنفسه وقال ان النتيجة ممتازة.»

«انه ليس بالحلم أليس كذلك؟»

«لا عزيزتي، انه ليس بالحلم، الطبيب لا يرغب أن نأمل كثيراً ولكن قررت العملية نهار بعد غد. وفرص النجاح جيدة، هذه كانت كلماته بالتحديد وأنت تعلمين أن كلمة جيدة تعني رائعة.»

قالت ماري: «أريد الجلوس.» قادتها عمتها إلى طاولة المطبخ وسكبت لها فنجاناً من الشاي ونظرا إلى بعضهما بصمت.

همست ماري والدموع في عينيها: «أشعر وكأنني لا أجرؤ على التصديق.»

«لا شك أن هولدن عرف الآن.»

«وكأنه حلم.»

قالت عمتها بصوت هش: «لن تنهاري الآن. أليس كذلك.» ومسحت دمعة عن خديها.

ابتسمت ماري لها وقالت: «سأحاول ألاّ أفعل.»

رن جرس الهاتف في غرفة الجلوس، ونهضت ماري

لترد عليه وأول ما فكرت به، لا بد أنه الطبيب يتصل ليخبرها أنه أخطىء فلقد أعطاها نتائج فحوصات اخرى.

ولكن لم يكن الطبيب، بل هولدن، صوته العميق جعلها ترتجف عاجزة عن الكلام للحظات، ثم سيطرت على نفسها وقالت بسرعة: «هل أخبرت بالنتائج؟»

«أجل، اسمعي لا أستطيع التكلم معك على الهاتف، انني في البيت، تعالي.»

شعرت بالغضب من خلال صوته الآمر. لقد أمضت اسبوعين تفكر بالأمر، تفكر كيف أن عجلة الأيام دارت دورة كاملة لتعيدها إلى البداية حيث كان خياله يقود أفكارها وحياتها، ولن تجعل هذه العجلة تدور ثانية لن تدع نفسها تنسى الماضي ومآسيه.

سألت: «لماذا؟ لا أستطيع القدوم.»

«أنت تعرفين العنوان، أنتظر قدومك خلال ساعة.»

وسمعت اقفال الخط، عندها غضبت بجنون وهي تحدق بسماعة الهاتف. كيف يجرؤ على معاملتها هكذا!

قالت لعمتها وهي تسير باتجاه المطبخ: «انه هولدن.» وأمسكت بكوب الشاب وتابعت: «يريدني أن ألقاه في بيته.»

قالت عمتها بهدوء: «أعتقد أنه يريد أن يتحدث عن الأمر معك. هاتي لن تعود إلى البيت قبل ساعتين فهي ستشرب الشاي عند اميلي.»

فكرت بأنها ستذهب وستحاول اخفاء عداوتها له. فقط لبعد اجراء العملية، عندها، اذا كان سيعتقد أنه يستطيع السيطرة على حياتها، سيصاب بصدمة كبيرة.

www.elromancia.com

بدلت ثيابها بسرعة، وخرجت. وفي خلال أربعين دقيقة وصلت إلى بيته وهي تشتعل غضباً.

رفع حاجبيه وقال: «أنت أسرع مما تخيلت.» وتقدم أمامها لتغلق الباب وراءها.

تبعته وهي تشعر بالارتباك. اقترب من الطاولة وسكب لها كوباً من العصير وقدمه لها.

قال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة: «أخبار جيدة أليس كذلك؟»

«هل هذا سيبعد الخوف عنك في الوقت الحاضر.»

أخذت رشفة من العصير وشعرت بالراحة قليلاً.

قال: «انتظريني لحظة، سأبدل ملابسي.»

سار باتجاه غرفته وجلست هي على حافة إحدى المقاعد ويديها على ركبتيها.

قررت، لن تمكث هنا أكثر من نصف ساعة، لتعلم الأمور التي يرغب ببحثها، ثم عليها العودة إلى البيت، فهناك كثير من العمل، تحضير حقيبة هاتي، والأمر الأكثر أهمية هي أنها ستخبر ابنتها عن العملية، بطريقة ما، كانت تفكر انه من الأفضل لها أن تكون صغيرة السن هكذا، فالخوف والألم لا وجود لهما في حياتها، ومع قليل من الحظ ستجعلها تتقبل الأمر بشجاعة وقوة.

عاد هولدن أنيقاً جذاباً كعادته مرتدياً بنطال رمادي اللون وقميص ابيض. كان يبدو مرتاحاً وفكرت لا شك أنه إنسان صعب جداً، فهو يستطيع أن يكون حاقداً ومؤذياً ولكن عندما يريد يصبح ساحراً وحنوناً وسنداً قوياً تستطيع الاعتماد عليه.

قال وهو يجلس على الكنبة أمامها: «هل تكلمت مع هاتي عن العملية؟»

«لا، ليس بعد، انها عند صديقة لها الآن، وسأخبرها بذلك غداً صباحاً، لقد أخذت يومين اجازة، وقد كانوا متعاونين ومتفهمين معي.»

«كيف تتوقعين شعور هاتي للعملية؟ هل ستخاف؟»

قالت ببطء: «لا، لا أعتقد، ربما ستتوتر قليلاً، ولكنها تعرف مسبقاً أنها ستتعرض لعملية جراحية. ولقد رأت فيلم فيديو عن المرض الذي اصابها...» ابتسمت وتابعت: «وتلك الصور شجعتها كثيراً.»

قال وعيناه مسمرتان عليها: «فكرت لو نأخذها إلى مكان ما قبل العملية.»

«ماذا؟» لسبب ما الفكرة أرعبتها وتابعت: «ولماذا؟»

«لماذا تعتقدين؟»

قالت وهي تقف متوترة: «لا أعتقد أنها فكرة جيدة.»

قال هولدن: «أريدها أن تعتاد علي، ولا أريد أن تستمري في الصراع معي كل الوقت.»

اعترفت: «أنا لا أفعل ذلك، بالطبع أنت تريد أن تتعرف عليها أكثر، أفهم ذلك.»

كانت قد أمضت أسبوعين وهي تحلل فكرة وجوده في حياة هاتي وقد تدبرت الأمر بأن تكون علاقتهما رسمية جداً، لا تتعدى السلام عندما يأتي ليأخذ ابنته عند الباب الخارجي وجملة منمقة كقول: «هل أمضيتما وقتاً سعيداً؟» عندما يعيدها. فمن الصعب عليها التفكير حتى بهذه اللياقة الاجتماعية.

قالت: «أعلم أنها جزء من حياتك الآن. ولا أدري ان كان عملاً جيداً إبقائها سراً عنك طوال تلك الفترة.» شعرت بوجهه يكفهر ولكنها تابعت بسرعة: «وفي الحقيقة، أنا أعلم أنك تريد الاتصال بها بعد العملية الجراحية. وهذا أمرٌ جيد ومعقول.»

قال باستهزاء: «كم أنت رقيقة الشعور.»

«حسناً، هذا ما أفكر به، ولكن ربما أفضل أن تدع الأمور لبعد اجراء العملية، عندها باستطاعتك أخذها إلى أي مكان تريده.»

قال: «لا.»

قالت وعيناها تنظران إليه بعداوة ظاهرة: «ماذا تعني بلا؟»

«أعني أريد أن أراها قبل إجراء العملية. باستطاعتنا الذهاب إلى أي منتزه، نتمشى قليلاً، ننظر إلى الأشجار، نطعم البط.»

«أنت تطعم البط؟» فكرة هولدن غراي ستون يطعم البط جعلتها تنسى كل عداوتها بل ضحكت بصوت عالٍ: «لا شك انها كانت طارت بعيداً من الخوف.»

نظر إليها وقال: «شكراً على تعبيرك. في هذه الحال سأبقى بعيداً عنهم، واترك لك ولهاتي أمر اطعامهم.»

فكرت ماري لما كل هذه التحفظات؟ وما الضرر من ذلك؟ على كل حال سيبقى يلح حتى توافق، فأومأت ايجاباً وأخذت تستمع له وهو يشرح لها أين سيقابلها ومتى.

بالطبع كانت هاتي متشوقة للأمر، وحاولت ماري أن تتظاهر انها لا تلاحظ ردة فعل عمتها.

همست في اليوم التالي: «لقد أصر كثيراً على هذه النزهة.» بينما كن يقفن أمام الباب بانتظار سيارة اجرة: «وبذلك يمكنك إزالة ملامح الشك هذه عن وجهك.»

ضحكت أديت وقالت: «عزيزتي، لم أسألك عن أي تفسير!»

قالت ماري: «ليس عليك ذلك، فالأمر واضح على وجهك.»

«حسناً، لم تستطع امرأة العجوز من التعجب كيف ثلاث سنوات من المرارة ستزول في نزهة بحديقة عامة. ولا أعتقد أن هذه فكرة جيدة.»

قالت ماري: «لن أعود اليه.» وتابعت بطريقة مبهمة لأن الأطفال يفهمون كل حديث حتى ولو بدوا انهم لا يتابعونك: «كل ما مضى هو جزء من الماضي.»

«بالطبع هو كذلك.»

«لن أعود إليه ثانية ولو كان والد ابنتي.»

«بالطبع لن تعودي إليه.»

«التفاهم معك أمر مستحيل.» ونظرت تجاه ابنتها التي كانت تشدها بيدها باتجاه السيارة وهي تلوح لعمتها.

كان هولدن ينتظرهما أمام المنتزه، نظرت إليه وتنهدت بعمق. كانت هاتي تتقدم وهي خجلة تحدق به بصمت وهي ممسكة بيد أمها، انحنى صوبها وقال وهو يبتسم: «اتتذكرينني؟» أومأت برأسها وتابع: «لقد أحضرت لك هدية.» ونظر إلى ماري بتحد، اقتربت هاتي منه قليلاً.

سألت بخوف: «هدية؟» وتطلعت إلى أمها بقلق.

قالت ماري: «هيا، حبيبتي، لا تخافي.» كانت تعلم ان ابنتها وضعت في حالة صعبة وحرجة.

www.elromancia.com

أخرج الهدية من وراء ظهره وقدمها لها تحول الخجل إلى ابتسامة مشرقة.

«حصاني الصغير.» حملته عالياً لتراه امها. «وفرشاته أيضاً.» تركت يد ماري وقالت لهولدن الذي ما زال منحنياً: «شكراً لك.»

وقف بجانب ماري بينما راحت هاتي تسير أمامهما وهي تمشط شعر الحصان الأزرق.

تمتم: «لا أريد محاضرة منك انني بذلك أريد الحصول على اهتمامها.»

قالت بهدوء: «لم أكن أرغب بالقيام بذلك.»

أخبرها وكأنه يدافع عن نفسه بينما كانوا يتنزهون: «لدي ثلاث سنوات من العطاء لاتمكن من التعويض عليها، ولقد اضطررت أن أكبح نفسي كي لا أشتري لها كل الألعاب في المتجر. كما أنني لم أتوقع أن يكون هناك كل هذه الكمية من الألعاب. فقد لاحظت أكثر من إثني عشر لعبة من كل نوع.»

كانت هاتي تسير باتجاه الحوض وهي تمسك بالحصان.

قالت: «سنطعم البط.» نظرت إلى هولدن وتابعت: «البارحة أخذتني أمي إلى مزرعة حيث هناك اطعمت الدجاج.»

سأل بلهجة مازحة: «البارحة؟»

ضحكت ماري وقالت: «في الحقيقة، منذ ثلاث أشهر، ولكن الأطفال لا يعنيهم البتة أمر الوقت وتقسيم الزمن.»

تابعت هاتي بدون خجل: «يأتي البيض من الدجاج،

والصوف يأتي من الغنم، أما الريش فيأتي من الوسادة.»

ضحك هولدن وهذا ما لم ترحب به هاتي أبداً.

قال لماري: «تعبير رائع للغة، انها رائعة.»

قالت بفرح: «عالم الأطفال، ليس أكثر.»

كان يوماً جميلاً، جميلاً جداً، فكرت بتكاسل لن تفسده بسبب المرارة التي تعانيها. وعلى كل حال، لن تفسد فرح هاتي بسبب وجوده وبسبب ما تشعر به حياله.

كانت قد احضرت بعض الخبز معها... وجلسوا في ظل شجرة، وانتظرت هاتي بصبر بينما كانت أمها تقطع الخبز إلى أجزاء صغيرة. أمسكت بيدها بعض الفتات واتجهت إلى مسافة معينة ورمت الخبز في الماء وأخذت تنظر إلى البط بفرح وهي تلتهم قطع الخبز. عندما عادت وضعت الحصان على الأرض وقالت باهتمام: «انه متعب، ويريد أن ينام.»

قال هولدن بذات الاهتمام: «بالطبع، فالتعب بادٍ عليه بوضوح.»

قالت بقلق: «وإذا أتى غريب ما، لا شك سيأخذه.»

ضحكت ماري: «سأراقبه كي لا يلمسه أحد.» شعرت هاتي بالارتياح وعادت لتطعم البط.

كان هولدن ينظر إلى ابنته بانذهال وشعرت ماري بخفقان قلبها.

تمتمت قائلة: «لا شك أنه احساس غريب عليك.»

«بالطبع انه كذلك، لم أدخل إلى منتزه منذ سنوات فكيف مع طفلة تطعم البط، في الحقيقة لم أكن أعلم ماذا كنت أفتقد.»

www.elromancia.com

نظرت ماري إليه بدهشة.

قال بصوت منخفض: «لن أسامحك أبداً، كان عليك اخباري عندما علمت بأنك حامل.»

قالت غاضبة: «لا تبدأ من جديد.».

قالت هاتي وهي تقترب منهما وتجلس أمام والدتها: «لقد تعبت.»

قالت ماري وهي تنظر باتجاه هولدن بنظرة قلقة: «أعلم ذلك.»

قالت: «لقد أخبرتني البط أنها شبعت تماماً.» وتابعت وهي تنظر إلى هولدن: «وأنها تعيش في مزرعة الجد ماكدونالد، ولقد تناولت طعامها هناك.»

سألها باهتمام: «وماذا أكلت؟»

فكرت قليلاً: «بان كيك، وحبوب مطبوخة.»

نهض برشاقة ومد يديه لها: «ما رأيك بنزهة على كتفي باستطاعتك النظر إلى كل تلك الأشجار وأخبرك عن أسمائهم.»

نظرت هاتي برغبة إلى ذلك الإقتراح وشجعتها ماري قليلاً. تقدم ورفعها على كتفيه وكأنها ريشة وابتعدا معاً وسمعت هولدن يقول: «أعرف أغنية عن الشجر، هل أنشدها لك؟»

راقبتهما ماري واحساس من الخوف غمرها، لم تكن تريد هذا الشعور، لم تكن تريد أن تشعر ماذا خسرت في كل تلك الفترة. فالشعور بالراحة والأمان بوجود هذا الجو العائلي يخيفها، فهولدن حنوناً عندما يكون بجانب هاتي ولكنه ما زال يكرهها، فلن تسقط أبداً دفاعها، ولن تنسى أبداً

ماذا جرى بينهما، لأن الكلام الذي تفوها به بغضب أوجد كل هذا الشك.

عندما عادا نهضت وحاولت استعادة رباطة جأشها، نظرت إليه وهو ينزل هاتي عن كتفيه وهي تنظر إليه بعاطفة فشعرت بضيق في صدرها.

عادوا بسيارته إلى البيت بصمت تام بينما نامت هاتي على المقعد الخلفي، وعندما وصلوا فتحت أديت الباب. تقدمت ماري لتقول بتهذيب: «شكراً لك على هذا النهار الممتع.» حملت هاتي واتجهت نحو عمتها أديت، عندها أمسك يدها وقال: «ليس بهذه السرعة.» وابتسم لأديت وهو يلاعب شعر ابنته.

تمتم: «سنذهب معاً في نزهة قصيرة، هنالك مسألة صغيرة أريد بحثها معك.»

«الا يمكن تأجيلها؟»

«هل تستطيعين الاستغناء عن ماري لمدة ساعتين؟» أحنت رأسها موافقة مبعدة عن عينيها أي احساس بالفضول.

سألت ماري عندما جلست داخل السيارة: «إلى أين سنذهب؟»

«نظر إليها بلمحة سريعة وقالت: «إلى مطعم ما لتناول الطعام.»

«لكني لست بجائعة.»

تجاهل جوابها: «حيث نستطيع أن نتكلم ونتصرف كبالغين متحضرين بدلاً من رمي الاتهامات على بعضنا.»

لم تجب ولكنها علمت أنه قد عاد إليها. كان يظن أنها

تصرفت كطفلة منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليه في مكتبه، ولكن هذه ليست الحقيقة.

كان المقهى في أحد ضواحي لندن، وكان هولدن معروفاً تماماً هناك.

قال بعدما انتهيا من طلب الطعام: «لقد مضى علي اسبوعان أفكر بالأمر، فأنا لم أجد نفسي مرة أقوم بدور الأب، ولا يمكنني القول ان الأمر غير قابل للتكيف معه، ولكن...»

قاطعته ماري بسرعة: «نعم، بالطبع، هاتي، إنني جاهزة للقيام باتفاق معك من أجل حقك بالزيارة كل اسبوعين، نهار السبت.» تلعثمت قليلاً، لم تكن تتوقع إجابة جذلة من خلال اقتراحها ولكن من ناحية اخرى بعض الاجابات كانت مقبولة.

وضع الخادم الطلبات على الطاولة وانتظرا حتى اصبحا بمفردهما مجدداً وقال ببرودة: «لا أعتقد أن هذا الوضع كاف.» أخذ رشفة من شرابه وتابع التحديق بها.

قالت ماري: «أعتقد أنني منصفة تماماً. فالأمر سيكون مقلقاً أن تراها خلال الأسبوع، فأنا أرغب أن تنام باكراً ولا أعلم لأي وقت تبقى أنت في مكتبك. ولا أرى أنه من المناسب لك القدوم لترى ابنتك مرتين في الأسبوع عند الساعة الرابعة.»

نظر إليها وقال: «لنجعل الأمر واضحاً تماماً، لا أنوي البتة القدوم نهار السبت لأخذ ابنتي لنزهة في حين تبقين في البيت تنظرين إلى ساعتك حتى اعود. عندما قررت الاتصال بي، لا شك أنك خدعت نفسك بالتفكير انني قد

أوافق على أي خطة تضعينها لي، ولكن إذا فعلت فستتخلين عن أهدافك، هذه الطفلة جزء من حياتي وهي تحتاج إلى حضور أب دائم، وليس إلى أب تلمحه من فترة إلى فترة.»

رمته بنظره مرتبكة وقالت: «ماذا تعني بذلك؟»

«أعني أن هاتي ستعيش معي.»

انحنت باتجاهه وهي ترتجف: «اطلاقاً، لن تأخذ ابنتي مني! أنت تعتقد أنك بالمال تستطيع شراء كل شيء ولكن لا شك أنك فقدت عقلك إذا كنت تعتقد أن هذا يتضمن الناس أيضاً.»

قال وقد فقد صبره: «أنا لا أرغب البتة في أبعادها عنك، إنني أتحدث عن شيء يجمعنا معاً بشكل دائم، لقد فكرت بالأمر كثيراً وانتهيت إلى نتيجة واحدة وهي، يجب أن نتزوج.»

حدقت به بدهشة من غير أن تتكلم ثم أخيراً قالت: «لا شك أنك أصبت بالجنون.»

«لماذا؟ ألا ترين أن الأمر معقولاً؟»

«ربما حباً بعمل طائش.» كانت متوترة الأعصاب فمنذ ثلاث سنوات كانت مستعدة للتخلي عن كل شيء لتسمع هذه الكلمات ولكن ليس بهذه الطريقة.

كان يتأرجح على شفير الانفجار ولكن عندما تكلم قال باتزان كلي: «تحتاج هاتي إلى العائلة، أنظري كم تمتعت بخروجها معنا إلى المنتزه.»

«كانت هاتي ستتمتع بالخروج إلى المنتزه ولو أخذتها مع مخلوقين من العالم الخارجي.»

صوته مازال هادئاً أما نظراته فكانت متقدة: «لما لا تكف عن التفكير بنفسك وتفكري قليلاً بإبنتنا؟»

همست: «كيف تجرؤ على هذا الكلام؟» منتبهة إلى الخادم الذي أحضر المقبلات، فانتظرا معاً بصمت وأخذا يحدقا ببعضهما بغضب.

انفجرت به قائلة: «لقد أتيت والآن تريد تولي زمام الأمور.»

«أنا لا أرغب بتولي أي شيء.»

«لا؟» وأمسكت قطعة من القريدس وأكلتها، لم تشعر بطعمها فلقد كانت منزعجة تماماً تابعت: «لقد فاجأتني كيف تقدم عرضاً للزواج على باحثة عن الذهب.» وتابعت بمرارة: «وهذا ما كان يجعلك تحتقرها كثيراً.»

ازداد توتره عند سماعه كلامها.

قال أخيراً: «اسمعي، ليس هناك من حاجة إلى اعادة الماضي...»

«الماضي جزء من الحاضر.»

«هاتي هي الحاضر، وهي تحتاج إلى عائلة، خاصة بعد خروجها من المستشفى، وبماذا تعتقدين أن ابنتك ستشعر عندما تكبر وتعرف أنك رفضت أن تتزوجي أباها؟ وعندما تعلم أنك رفضت أن تعطيها الاحساس بالعائلة مع كل الامكانيات التي كان سيوفرها لها المال وكل ذلك بسبب كبريائك؟»

«الكبرياء ليس له أي دور هنا! ولكن ماذا عن الحب؟»

سألته ماري: «وماذا ستقول أمك عن طلبك هذا؟»

تراجع إلى الوراء محدقاً بها وقال: «ستتقبل أمي

الوضع. لن يكون لها الخيار، في الحقيقة، اننا لا نتقابل كثيراً هذه الأيام، فعلاقتنا متوترة.» أدار وجهه بمرارة وهذا يعني أن النقاش انتهى.

قال بطريقة وكأنه لا يريد جواباً سريعاً: «فكري جيداً بالأمر.»

قالت: «سأفعل.»

«وفكري أيضاً بهاتي.»

لم تقل شيئاً ولكن بقيت كلماته تدور في بالها وانتهى لقاؤهما بارتباك وغضب مدفون.

عادت إلى البيت بعد ثلاث ساعات، وبعدما نامت ابنتها بأمان، أخبرت عمتها عن اقتراح هولدن للزواج.

قالت ماري بيأس: «انه يحاول السيطرة علي، راغباً بالزواج من أجل مصلحة هاتي، وهو يعلم أنني لست في موقع منيع للرفض.»

قالت أديت بتعجب: «وهذا ما يدهشني. لماذا يفعل ذلك؟ لا أعتقد ان حبه لابنته يجبره على الزواج منك.»

«أنت لا تعرفينه، انه يريد ابنته بجانبه، واذا كانت هذه هي الطريقة المثلى، فلتكن.»

نظرت أديت مفكرة: «اذاً، متى سيتم هذا الزواج؟»

«عندما ننتهي من مشاكل العملية، لقد قال لي، السرعة هي الأفضل، لأنه يعتقد أنني سأحاول الهرب ان كنت أقدر، فلذلك يريد أن يقطع علي كل أمل بالمحاولة.»

قالت عمتها ببطء: «لا شك أن الأمور ستسير على ما يرام، وتحظى هاتي بوالديها معاً للاعتناء بها.»

فكرت ماري سيبدو الأمر وكأنني أنانية. ولكن أين أنا

في كل هذا الوضع؟ فهولدن غراي ستون لا يهتم البتة بأمرها، لم يفعل ذلك قط. لقد استغلها في الماضي والآن يستغلها ثانية للدخول إلى حياة ابنته.

تساءلت هل فكرة التنزه معاً ليثبت قناعته؟ هل كان يريد التأكد كم هو مريح لهاتي وجودهم معاً، هم الثلاثة؟

إذا فعل ذلك فلقد نجح تماماً، لأنه قبل أن ينتهي النهار كانت تعلم ماذا سيكون جوابها.

الفصل الثامن

كان للقلق قدرة كافية لابعاد كل الافكار الأخرى عنها. ففكرة الزواج من هولدن بقيت بعيدة عن مخيلتها.

وكل ما كان يشغل بالها في كل هذه الفترة هو القلق.

قال لها هولدن البارحة قبل ان تغادر عندما كان يوصلها إلى البيت: «انك مضطربة، انه شعور لا جدوى منه عندما لا ينتج عنه أي نتيجة.»

سألته بانتقاد مبطن: «هل هذا ما اشار به دماغك الالكتروني في معالجتك لهذا الأمر؟»

رد بضيق: «لا يمكنك ان تتركي هاتي تشعر بقلقك فهذا سيعكس على نفسيتها، انها ما زالت طفلة ولكنها تشعر تماماً بك وستتصرف من خلال احساسها.»

حملقت ماري به شاعرة بالكره نحوه لأنه يتحدث عن أمر واضح وجلي وهذا ما يجب ان تفكر فيه بنفسها.

قالت بحدة: «لا تعلمني كيف ادير حياتي.»

تجاهل قولها وقال: «ولا تنسي انني اتوقع اجابة لسؤالي غداً صباحاً.»

لم تفكر ماري انها ستتمكن من النوم، ولكن في الحقيقة. نامت باكراً وبسرعة ولم تشعر الا بالتعب.

شعرت بالخوف صباحاً عندما كانت تتوجه إلى المستشفى مع اديت وهاتي تجلس بينهما في السيارة.

www.elromancia.com

كان هولدن بانتظارهن، كان قد تحقق من كل الأمور ويبدو هادئاً ومسيطراً.

نظر إلى هاتي وانحنى صوبها ممسكاً يديها باصابعه الطويلة.

«هذا هو اليوم الكبير، يا صغيرتي.» نظرت إليه هاتي بفرح كما كانت تفعل البارحة وهذا ما جعل ماري تشعر بفيض من العواطف.

قالت بصوت طفولي: «انني لست بخائفة، اخاف فقط من الحشرات والعنكبوت، البارحة كان هناك عنكبوت في الحمام.»

تمتم هولدن بصوت ناعم: «حسناً، لا يوجد هنا ابداً حشرات، وبذلك عليك ألاّ تخافي ابداً.»

التفت إلى ماري والتقت عيناهما بحنان غريب جعلها تبعد نظرها عنه.

اتت الممرضة وبدأت التحضيرات لتجهيز الأمور.

دخلوا جميعاً غرفة هاتي التي كانت مزينة بألعاب للاطفال وعلى الجدران صور من كتب الاطفال.

قالت الممرضة: «هذه الاشياء تساعد، لان الاطفال يصابون بالرعب من المستشفيات والثوب الابيض، فكل هذا... يجعلهم يشعرون بالراحة ولا يخافون مما سينتظرهم.»

كانت هاتي تنظر بضعف فامسكت ماري بيدها وضغطت عليها برفق.

قالت الممرضة مبدية تفهمها للوضع: «غرفة السيد غراي ستوان ستكون في نهاية الممر.»

بعد فترة قالت لها عمتها ان عليها الذهاب لرؤية هولدن

وكيف تسير الأمور معه. شعرت ماري بخيبة امل كيف ان حياتها تغيرت بسبب وجوده.

قالت عمتها: «سأبقى مع هاتي، وعليك ألاّ تنسي انه يجهز أيضاً للعملية، اعلم انك ترغبين في البقاء هنا. ولكن رضيت أم لا، هو والد هاتي وعما قريب سيصبح زوجك.»

قالت بهمس: «زواج بالاكراه.» وكانت ترغب ان تضيف ولمصلحته الشخصية فقط. وعلمت ان ذلك يستوجب شرحاً وحديثاً وليس الوقت والمكان مناسبين.

ادركت ماري ان هولدن قد اعجب عمتها ولم تنتقد مبادرته السريعة للزواج. قالت لها انه أمر منطقي التفكير هكذا، فليس الحب هو الشرط الاساسي لنجاح الزواج.

تنقلت في غرفة هاتي، رافضة الخروج، ممسكة بيد ابنتها محاولة قدر الامكان ان تبدو سعيدة عوضاً عن ان تنهمر الدموع من عينيها، بينما كانت الممرضات منهمكات بعملهن الروتيني من التأكد من الحرارة، ضغط الدم، وتسجيل كل هذه الأمور في دفتر المعاينة. لمحت عمتها تنظر اليها بتأنيب. فقالت وهي تتنهد: «حسناً، حسناً سأذهب لاطمئن عليه.»

قبلت ابنتها وخرجت من الغرفة لتذهب اليه. لم تجد اي صعوبة في ايجاد غرفته. كان يجلس متكاسلاً على كرسي بجانب السرير، مبتسماً بينما ممرضة جميلة حمراء الشعر تحيطه بعنايتها.

وقفت الممرضة عندما دخلت ماري وتحولت ضحكتها الخجولة إلى ابتسامة خفيفة، وهذا ما اثلج صدر هولدن.

قالت ماري بعدما غادرت الممرضة الغرفة: «لا شك انك متوتر.»

اقتربت من السرير ونظرت إليه وهو يرتدي الروب الأبيض.

www.elromancia.com

قال وهو يسير باتجاه النافذة: «كانت بيكي تحاول مساعدتي.»

قالت بهدوء: «بالطبع كذلك، لقد لاحظت الأمر، في الحقيقة.»

«ولم يعجبك ذلك؟ لماذا؟ اتغارين؟»

قالت بسخرية: «آه، طبعاً يريحك الأمر.» ولكن في الحقيقة فكرت كالمصدومة نعم لقد كانت تغار، فما ان رأته مع تلك الممرضة حتى اصيبت بغيرة عمياء، وهذه الحقيقة ازعجتها كثيراً.

سألها: «كيف هاتي، ساذهب لرؤيتها ولو لدقيقة، قبل اعطائها حقنة المخدر.»

اجابت: «تبدو بخير.» وسمعا طرقاً خفيفاً على الباب، دخلت الممرضة وهي تبتسم.

تمتم هولدن وهو يبتسم لها: «لقد عدت ثانية.» وقدم يده لتقيس له الضغط تابع بصوته العميق: «عليك القدوم الي كل ربع ساعة، اتعلمين.»

قالت بلهجة سكوتلندية: «ولماذا يا سيد غراي ستون؟» كانت تدير ظهرها لماري ولكنها شعرت بابتسامتها فعقدت يديها فوق بعضهما ولوت شفتيها.

«لرفع معنوياتي بالطبع، فأنا مجرد مريض مسكين، يرتعد من مجرد التفكير انه بعد قليل سيكون تحت مشرط الجراح.»

نظرت إليه بسرعة وقالت بصوت حاولت قدر الامكان ان لا يكون متميزاً: «ليس هناك من داعٍ للخوف، فالطبيب كرياكي متمرن جداً بهذه العمليات، ستكون عند افضل جراح.»

تمتم: «هذا ما اشعر به الآن.» ضحكت وهي تبتعد عنه لتسجل النتيجة على دفتر الملاحظات في آخر السرير.

قالت ماري حالما خرجت الممرضة من الغرفة: «انك مجرد مريض مسكين، أليس كذلك؟ ترتعد من التفكير انك ستكون تحت مشرط الجراح؟»

أجاب وكأنه يرد على سؤالها: «انها جميلة، الا ترين ذلك؟ كل ذلك الشعر الاحمر والوجه المنمش، لقد كانت لدي صديقة تشبهها عندما كنت في الجامعة.»

قالت: «أمر رائع.»

ادركت انه ذات مزاج مثير، ربما هذه طريقته في معالجته للأمور. فلكل شخص ردة فعل معينة بالنسبة إلى الأمور التي يتعرض لها.

ضحك وقال: «اعتقدت انك ستقولين هذا.» واقترب منها فشعرت بالتوتر، لما لديه كل هذا التأثير عليها؟ فما ان يقترب منها حتى تشعر بموجة من الشوق والعاطفة تغمرانها.

همس بها صوت من داخلها بسبب انك ما زلت تحبينه. فغادر الدم وجهها ونظرت إليه بخوف.

مازالت تحبه؟ كل تلك السنوات حاولت اقناع نفسها انها تأثرت به وانجذبت إليه ولكن الآن تعلم بوضوح انها لم تتوقف ابداً عن حبه.

الحقيقة ارعبتها. فهو لم يحبها ابداً، ولن يفعل، وها هي الآن عادت إلى نقطة البداية. انها مغرمة برجل، شعوره المختلف عنها سيكون كالسيف مسلطاً عليها حتى يقضي عليها، والأسوء من ذلك، انها لا تستطيع الهرب الآن كما

www.elromancia.com

فعلت في المرة الماضية. بسبب تورط ابنتها بالأمر، من غير ان تفكر بالأمور القادمة كالزواج.

قال وهو يقف امامها مباشرة: «هكذا، لما لا نتابع حديثنا الماضي؟ هل ستقبلين بالزواج مني.»

تمتمت: «لم اكن بحالة استطيع التفكير بها بشيء.» كانت تقول الحقيقة، تشعر فقط وكأنها ستقع في مكيدة، بائسة حتى الموت من فكرة الزواج منه.

قطب حاجبيه بغضب وكانت تود لو تستمر على هذه الفكرة ولكنها فكرت بهاتي، والسعادة التي ستخص بها بين والدين يحبانها كثيراً. وتابعت بتردد: «قررت ان اقبل عرضك.» ونظرت إليه بعناد: «لم تعطني أي مجال للرفض أليس كذلك؟»

قال بثقة: «لو اعطيتك ما ترغبين، لكنت خرجت من حياتي لحظة ما تنتهي هذه العملية واخذت معك ابنتي.»

«هل تلومني على ذلك؟»

«بالطبع. فتوقعك من الزواج من اغنى العازبين في المنطقة لم تكن فكرة متوقعة.» وتابع بسخرية: «وإذا مازلت اتذكر، رهانك على البحث عن احد ما، لقد نجحت في ربح الشرط، مع ان انتصارك تأخر قليلاً.»

قالت باندفاع: «اكرهك!»

تمتم: «الكره عاطفة جياشة أيضاً.»

ابتعد باتجاه النافذة، وبقيت مكانها ترتجف، غير قادرة على الحركة.

قالت بضيق: «انت لا تفهم ما يجري.»

دار ببطء لمواجهتها وعيناه شبه مغمضتان.

«ما الذي لا افهمه؟»

«انت غني، اجل، مؤهل ومناسب، اجل. ولكنك حطمت كل حياتي.»

قال باهمال: «فقط في مخيلتك المحمومة، ويبدو انك نسيت تماماً ان حياتي أيضاً قلبت رأساً على عقب.»

قالت وكأنها تتمسك بآخر خيط من الأمل لديها: «إذاً لما كل هذا! نستطيع الوصول إلى حل سلمي من غير ان نقوم بأي عمل متطرف.»

هز رأسه رافضاً: «لا، لا حقوق للزيارة، ولا نزهات سريعة في نهاية الاسبوع، كما لن اسمح لرجل ما ان يأخذ مكاني في حياة ابنتي.»

كانت ترغب بالصراخ، لكنها قالت بهدوء كاتمة غضبها: «في هذه الحالة، لدي انا أيضاً شروط. أولاً ألا تتمادى كما كنت تفعل منذ لحظات.»

«عما تتكلمين؟»

«اتكلم عنك، وعن مزاحك مع الممرضة، آه طبعاً، انا لا اهتم لك، ولكن إذا كنا سنعيش معاً وانت تتصرف على هواك بينما لا تنفك تحدثني عن حياة العائلة السعيدة، كيف تعتقد سأشعر حيال ذلك؟ لقد كنت سعيدة حتى دخلت حياتي.»

صوته كان لامعاً كالبرق: «انا لم ادخل حياتك، انت من وقف على باب مكتبي وبيديك قنبلة جاهزة للتفجير. لا شك انك كنت مجنونة إذا كنت اعتقدت انني سأرضى بكل ما تفكرين به، وسأجعل مصيري بين يديك لتقرري متى وكيف وأين سأرى ابنتي، من غير ان تنزعج حياتك طبعاً، افتحي عينيك يا ماري وفكري بمنطق.»

www.elromancia.com

سمعا طرقاً خفيفاً على الباب قال بصوت قاس وسريع: «قبليني.»

«ماذا؟»

شدها باتجاهه وشعرت بأن قلبها يخفق بصدرها كعصفور سجين في القفص.

«قبليني، انت الآن خطيبتي وعليك اظهار ذلك للجميع.»

«كنت اعتقد انك لا تهتم بما يفكر به الناس.»

فتح الباب ورفع رأسه ونظر من فوق كتفيه وقال وهو يضحك: «انني اقول لخطيبتي ان لا تقلق، لن يحدث لي مكروه من خلال العملية وسأعود اليها افضل من الآن.»

قال الصوت السكوتلندي من وراءها: «آه، طبعاً آنسة ستيفنز الأمور ستسير على ما يرام، ولكن يجب ان تغادري، علينا ان نجهز المريض للعملية.»

قال بصوت اجش: «تمني لي التوفيق، يا عزيزتي.»

نظرت إليه فرأت الصدق في عينيه، وتسألت هل يفعل ذلك ليحظى بعناية الممرضة، اخفضت عينيها وقالت: «حظاً موفقاً.»

تمتم وهو يمسك بيدها: «كم هو أمر رائع ان يحظى المرء بخطيبة تهتم به لهذه الدرجة.»

نظرت إليه بحدة وتمتمت: «الا ترى ذلك؟»

قال كمن يقول أمراً واقعاً: «ستكونين هنا عندما استفيق.» ولكن كان في لهجته تمني أيضاً ولأول مرة شعرت انه متوتر فعلاً ولو انه يحاول ان يبدو مرتاحاً. قالت وهي تبتسم له: «سافعل، وحظاً موفقاً، يا هولدن، من كل اعماق قلبي.»

قالت الممرضة بلطف: «علي ان اسألك الرحيل الآن، يا آنسة ستيفنز.» وقفت ماري وهمت بالمغادرة كان قلبها يخفق بقوة في صدرها. كانت تعلم ان هذا هو شعورها بقربه خاصة عندما تسقط تحفظاتها. كانت عيناه الرماديتان تتبعانها، شعرت بذلك وهي تخرج من الغرفة وتغلق الباب وراءها.

قررت مسبقاً انها ستبقى بالمستشفى خلال اجراء العملية على الرغم من تأكيد الاطباء انه افضل لها لو تذهب إلى التسوق أو احتساء فنجان قهوة في مكان ما، أي شيء تفعله افضل من هذا الانتظار ولكن لم تكن تفكر انها تستطيع ان تكون في مكان آخر مع اهمية الحدث الذي تمر به ابنتها. كانت تعتقد مجرد التفكير بالأمر وكأنه خداع.

ذهبت هي وعمتها إلى مقهى المستشفى، مع امكانية مساندة بعضهما البعض.

سألت أديت لتضيع الوقت: «هل حددتما موعد الزفاف؟»

استجمعت ماري افكارها لتعلم عما تتحدث عمتها.

قالت وهي تحدق بعيداً: «لا، ليس بعد. فلم يقل لي شيئاً بهذا الشأن ونظراً لطبعه سيخبرني عندما لا اتوقع ذلك.»

«سافتقدك كثيراً عندما تذهبين وبالطبع هاتي عندما تخرج من المستشفى.» والآن اتى دور عمتها لتحدق بعيداً ونوعاً من الضباب الكثيف ظهر في عينيها وقالت: «لم اقل هذا ولا مرة، ولكن كنت كصمام الأمان في حياتي. لقد عشت حياة مرة، وانت من أنهى تلك الحياة.»

قالت بصوت مؤثر: «سنأتي لزيارتك عندما تطلبين ذلك!»

قالت اديت: «ستكونين معه بخير. انه انسان جيد، انه مختلف تماماً عما اخبرتني به، اتعلمين انه لطيف.»

«لطيف؟» فكرت بهولدن بأحدى لحظاته المشاكسة، وكيف يدير فمه كتعبير واضح عن سخريته واحتقاره. «انك تتكلمين عن شخص آخر، يا عمتي أديت.»

ضحكت أديت وبدا كأنها ستضيف شيئاً على حديثها ولكنها آثرت تغير الموضوع. واستأنفا حديثهما المتقطع وتوترهما الواضح.

كان من الصعب عليها ان تصدق ان الوقت يمر بهذا البطء. كان عليها ان تكبح نفسها بعدم النظر إلى الساعة كل خمس دقائق، لأن هذا كان يشعرها باليأس. وعندما لمست عمتها يدها لتخبرها ان عليهما التوجه إلى جناح العمليات. شعرت ماري بخوف مميت.

عندما وصل الجراح إلى الممر شعرت بالاغماء وبعدم قدرتها على الكلام، اخذت تنظر إليه لتتبين الوضع من ملامحه هو ومساعده واكتشفت انها لم تفهم شيئاً عن الوضع.

قال: «آه، آنسة ستيفنز.» بينما كان مساعده ينتظره بوقار.

سألت أديت: «كيف جرت الأمور؟» حدقت ماري به بيأس غير قادرة على النطق. استمرت تحدق به لتقرأ تعابير وجهه هل لديه اخبار جيدة أم سيئة؟ لقد اكد لها ان الأمور ستسير على احسن ما يرام. ولكن ليس هناك نتيجة مسبقة.

قال بصوته الهادىء المقنع: «انني راضٍ جداً عما جرى.»

قالت ماري بصوت خفيض اجش: «هل ستشفى ابنتي تماماً.»

ابتسم وقال: «الاثنان معاً، كانت عملية ناجحة جداً، لم اواجه أي مشكلة على الاطلاق.»

سألت: «متى نستطيع ان نراهما؟»

نظر إلى ساعته، واخبرها انه سيمر ثانية بعد ساعتين عندها تستطيع ان تسأله بكل ما ترغب.

لقد حملت ماري مرض ابنتها لمدة طويلة. وشعرت انه لمن المستحيل ان يزول كلياً مع كل تأكيدات الطبيب دخلت إلى غرفة هاتي، التي كانت تبدو ضعيفة وهشة. امسكت بيدها، محاولة ان تزيل كل قلقها، وبالتدريج شعرت ان قلقها يزول وان ابنتها ستصبح بخير، فالاطباء لا يذكرون كلمة نجاح إلا إذا كانوا متأكدين من الأمر.

اخبرت عمتها: «سأذهب لرؤية هولدن.» وعلمت انها مع كل القلق التي كانت تعانيه لهاتي كان هناك قلق واهتمام خاص بهولدن نفسه.

فتحت باب غرفته وشعرت بصدمة من رؤيته ممدد على السرير مغمض العينين ووجهه بلا لون.

اقتربت من سريره وامسكت بيده وهمست بعد فترة.

«شكراً لك، اعلم انك لا تستطيع ان تسمعني ولكن قال الطبيب ان الأمور تسير على احسن مايرام.» توقفت وتمتمت بضعف متأكدة ان لا مجال له ليسمعها: «تبدو مخيفاً، لا لون فيك البتة.»

فتح عينيه وحدق بها وعلى شفتيه ابتسامة وقال: «شكراً لك.»

احمرت خجلاً: «انت، يجب ان تكون نائماً الآن.»

ابتسم بضعف وقال: «لقد كنت كذلك حتى دخلت الغرفة،

www.elromancia.com

كنت ارغب في الكلام، ولكني لم استطع مقاومة اهتمامك وشفقتك علي، انه أمر غير عادي.»

حاولت ان تسحب يدها، ولكنه أمسك بها وفي النهاية تخلت عن المحاولة فحرارة يده تجعلها تشعر بالقلق وعدم الثبات.

قال: «كيف حال هاتي؟»

«نائمة، تبدو ضعيفة وهشة ولكن ستصبح بألف خير.»

أومأ برأسه وسألته بارتباك: «وانت كيف تشعر؟»

«تماماً كما ابدو.» واغمض عينيه بنعاس وتابع: «في هذه الحالة، اعتقد انك ستقولين انني ابدو رائعاً.»

قالت: «انت تبدو رائعاً.»

تمتم وهو يضحك: «ايتها الكاذبة الصغيرة.» كان هناك دفء في صوته جعلها تتذكر الأيام الماضية. تلك الأيام التي مر عليها سنين، عندما كانت حمقاء لدرجة انها صدقت انه يهتم بها فعلاً.

قالت بسرعة: «حسناً، إذاً انت تبدو شاحباً بشكل مروع. ولا اعتقد ان الممرضة السكوتلندية ستعجب بك الآن.»

تمتم بضعف: «آه، لا ادري، فكثيرات من النساء يجدن الرجل المريض شخصاً لا يقاوم.»

«انني متأكدة انك تستطيع اخباري بكل هذه الأمور، ولكن انت فعلاً بحاجة لراحة، سيندهش الطبيب عندما يعلم انك صاحياً وتتكلم.»

قال: «شكراً لاهتمامك، ولكن في الحقيقة هذه العملية هي سهلة جداً بالنسبة لي والاهم بالنسبة لهاتي، ففي خلال ايام سأعود إلى حالتي الطبيعية.»

لم تستطع ماري الا ان تسأل: «وهل هذا أمر جيد؟»

تمتم: «عندما تنسين كم تكرهين، تعودين كتلك الفتاة التي أ... اعرفها. ولهذا لا اعتقد ان زواجنا سيفشل كما تقولين، فكل ما عليك هو اسقاط تحفظاتك من ناحيتي.»

تساءلت، واعود لأصاب بالأذى منك من جديد؟ اطبقت فمها بضيق وسمعته يتنهد بصبر.

تذمر قائلاً: «ها انت الآن، تغلقين على نفسك كالجدار. أنا من عليه ان يبقى في حالة من العداوة. الا تفكرين بذلك؟ ولا اشعر انني استطيع ان اشن حرباً في حالتي الحاضرة.»

وبارتباك شعرت ان ما يقوله صحيح، ولكن لم تكن ترغب بالاعتراف بذلك، لن تسمح باسقاط تحفظاتها، لن تدعه يرى كم هي ما زالت تهتم له. وخفق قلبها بسرعة فهي الآن تعترف انها لن تستعيد قدرتها لمقاومته.

وافقته: «لا.» كانت تفكر ان نقاشهما الآن سخيف وعديم الجدوى كما انها لا ترغب بمجادلته. تابعت: «ولكن لا يبدو عليك انك حققت نصراً ما بذلك.»

نظر اليها وقال: «آمل ألا يعني ذلك انك ترغبين بالاستفادة من وضعي الراهن.»

سألته من غير عداوة: «انك لا تتخلى عن الصراع ابداً، أليس كذلك؟»

أجاب عن نحو غامض: «ليس عندما تتعلق الأمور باشياء معينة.» ابتسم ولمعت عيناه وتابع: «على كل حال، باستطاعتك الاستفادة مني في وضعي الراهن.»

«هل استطيع؟» وتجاهلت كلامه الواضح وقالت: «ولكنني لا اجد امراً ما استطيع الاستفادة به منك.»

«هل تعنين ذلك؟»

«بالطبع اعني ذلك.» كان يحدق بها بقوة فوقفت بسرعة منتبهة ان عليها المغادرة فوراً.

سحبت يدها بسرعة وقالت: «انك بحاجة إلى الراحة الآن.»

«تقصدين انك بذلك تتمكنين من الهرب؟»

قالت بحدة: «لا.» ثم تابعت بلطف وهدوء: «لقد انتهيت من العملية الآن، وليس هناك من داع ان تضايق نفسك بأمور لا قيمة لها.»

سارت باتجاه الباب فقال لها: «سانتظر زيارتك غداً، هل افعل؟»

نظرت إليه من وراء كتفيها وقالت: «إذا كان يريحك الأمر.»

قال: «تعنين إذا كان يريحك انت.»

لم تجب بل اسرعت بالمغادرة قبل ان تضعف مقاومتها نهائياً وتجد نفسها تتصرف تصرفاً احمق.

غادرت المستشفى هي وعمتها بعد فترة. فلقد تحدثت مع الطبيب عن كل ما يشغل بالها حول صحة ابنتها ولقد رأت بنفسها عندما استعادت هاتي وعيها انها ستشفى تماماً. فلقد كانت نشيطة وأول ما طلبت بوظة على كل الأنواع. كما انها تريد الدواء اللاصق لاصبعها الذي جرح.

ما ان وصلت إلى البيت حتى شعرت بالارهاق. اعدت هي وعمتها العشاء سريعاً وتناولتا الطعام من غير كلام يذكر. ثم دخلت إلى غرفتها لتنام سريعاً.

استمرت في اليومين التالين هي وعمتها على نفس الوتيرة من الاياب والذهاب إلى المستشفى. وكم كانت تكره ان تعترف ان رؤيته كانت دائماً تشغل بالها.

زاره معظم العاملين لديه، والكثير من اصدقائه. وكانت الغرفة ملىء بالزهور والفواكه. ولكن لم يكن هناك أي اتصال أو زيارة من أمه. وعندما سألته أجاب بانزعاج انه لم يخبرها عن العملية.

قالت برعب: «تعني انها لا تعرف شيئاً عنا؟ أي شيء؟»

هز كتفيه بارتباك من غير ان ينظر إليها.

قالت: «علي ان اتصل بها هاتفياً واخبرها.» كانت خائفة من المحاولة ولكنه بقي صامتاً.

قال بخشونة: «لننهي ما عزمنا عليه قبل ان تفعلي شيئاً من هذا القبيل.» كان يرتدي روباً حريرياً ويجلس بجانب النافذة والنور المشع يضفي على وجهه ملامح من القوة والجمال المسيطر المربك وهذا ما كانت تخاف ان تشعر به.

قال: «سأغادر المستشفى غداً.»

«نعم، لقد اخبرتني الممرضة بذلك. بينما هاتي ستبقى لمدة اطول. عليهم اجراء فحوصات دائمة لها. مع انها تتقدم باستمرار.» ابتسمت وتابعت: «لا اقدر ان اصدق ان كل شيء انتهى، فأنا دائماً افكر ان علي ان اقلق وان ثمة أمور مؤلمة ستحدث بعد.»

«هذا لأنك امضيت فترة طويلة من الخوف، وكان القلق شريكك الدائم.» توقف عن الكلام وابعد نظراته عنها وتابع: «اعتقد انك ترغبين في مرافقتي إلى بيتي.» كان هناك نوع من البطء في كلامه جعله يبدو مرهقاً.

قالت متأملة: «اعتقد علي ذلك. كما اعتقد ان علي ان احضر لك وجبة غداء كتعبير عن كلمة شكر.»

قال: «طبعاً.» ونظر إليها نظرته المتعجرفة المعهودة.

قالت وكأنها تحذره: «ولكني لست خبيرة في اعداد الطعام.»

أجاب بسرعة: «انني مولع بالسجق، البطاطا المهروسة، والحبوب بالشوربة.»

«هل انت فعلاً كذلك؟»

قال بصوت يعبر فيه عن الشك: «يا لها من مفاجأة.»

كان هناك شيء يحدث بينهما، وهذا ما لم تعترف به حتى ولا لنفسها، فهو مازال يشعر بالمرارة حيالها، وترى ذلك بوضوح في وجهه فليس هناك من مجال لتخدع نفسها. فوجود هاتي كان كالجسر بينهما. ولكن أي تفاهم حقيقي بينهما يجب ان يتم من خلالهما. وهذا ما لم يحدث فكل ما يحدث بينهما الآن ليس إلا هدنة موقتة.

راقبها حتى خرجت واغلقت الباب من وراءها، ولكن بالحقيقة لم تغادر بل اسندت نفسها إلى الباب وهي تفكر بالمستقبل. وقررت انها لن تسمح له ان يستغلها ويعذبها من جديد.

الفصل التاسع

كان هولدن بانتظارها في اليوم التالي، فبعد أن زارت هاتي، طرقت على بابه وفتحته لتجده متكأ على عتبة النافذة، وبالحال شعرت أنها تريد أن تغلق الباب وتهرب عبر الممر لتعود إلى بيت عمتها بأمان.

كل القلق الذي كانت تعانيه في الأيام الماضية، كان يبعد عنها بمجرد التفكير بما سيحدث لها في المستقبل، أما الآن وجهاً لوجه معه، جاهزاً لمغادرة المستشفى، فبدأت تشعر أن الأمر حقيقة وكل شيء يدعوها إلى الخشية والخوف.

عضت شفتها بعصبية وتمنت لو أنها لم تكن واقفة هناك، تحدق به بتأن محاولة أن تحث نفسها على التصرف بعدائية.

لم يشرحا الأمر بعد لهاتي ولكن هولدن كان يزور ابنته كل يوم، ليبني بينهما جسوراً من الصداقة والمحبة من أجل ان تتقبل الوضع عندما تعرف الحقيقة بطريقة فرحة ومريحة.

قالت وهي تقف عند الباب: «ها أنا هنا الآن، كيف تشعر اليوم.»

قال: «لم أشعر بأنني أفضل من اليوم.»

سألته: «أليس عليك أن تقابل الطبيب، أو الممرضات قبل ذهابك؟» أمسك بحقيبته ووقف ينظر إليها بعينين جامدتين.

قال: «لقد تم التحقق من كل شيء حتى الأمور المالية.» اقترب منها غاضباً ونظر إليها بدقة: «تبدين كأرنب مذعور، لماذا؟ هل تكرهينني إلى هذه الدرجة؟»

www.elromancia.com

«وهل تلومني ان فعلت؟» شعر بالضيق وفكرت ماري بيأس، ان الأمور تعود دائماً إلى حقيقتها، فهي لن تتخلى عن شعورها بالغدر كما هو لن يتخلى عن احساسه بعدم الثقة.

قال ببرودة: «تبدين كمثال للفضيلة، ولكن على الأقل، لن اكون عرضة للشروط.»

فتحت فمها لتنفي ذلك ولكنها عادت عن فكرتها، فاعتقاده الخاطىء هو صمام الأمان لها. فاذا كان يكرهها، أليس من العدل أن يفكر بأن الشعور متبادل؟

سألت بصوت حزين: «هل نذهب؟»

«اذا كنت تستطيعين تحمل الامر، ماذا تعتقدين سأفعل الان ما دمت غير مستلقي على سرير المستشفى؟ سأقفز اليك؟ ام اهاجمك؟»

قالت بضيق: «بالطبع لا.» كانت ترى من خلال ملامح وجهه كم كان غاضباً.

اقترب منها ونظر اليها بعينين تلمعان بقوة. وقال: «اذاً، لماذا تتصرفين وكأنك ستدخلين عرين الاسد؟»

سألته: «كيف تريدني ان اتصرف؟ فالوضع ليس طبيعي، اليس كذلك؟»

قال بسرعة وبصوت بارد: «سنتزوج قريباً، كيف تريدين ان يصبح الامر طبيعي اكثر؟ هل تظنين ان التنقل ذهاباً واياباً لرؤية هاتي امر عادي اكثر؟»

لم تجب، لم يكن يفكر اطلاقا بوجهة نظرها فكل الذي يطلبه هو رؤية ابنته دائما. واذا كان الزواج هو الوسيلة الافضل لذلك، فليكن كذلك. فهو لا يؤمن بوجود الحب. فكيف سيظن ان هناك حباً فعلاً؟

امسك بذراعها فأجفلت، فهي لن تستطيع ابداً التغلب على احساسها به.

«ها أنت مذعورة ثانية، احياناً اشعر بالرغبة في ضربك.»

قالت بعصبية: «امر رائع، اي عرض مثير مقبلة على العيش فيه مع رجل لديه رغبة بضربي.»

قال وهو يمرر اصابعه بشعره: «كفي عن الجدال.»

قال ليغير الموضوع: «ماذا تحملين في هذه الحقائب؟»

هزت كتفيها وقالت: «الحقيقة، انها حاجيات تلك الوجبة التي وعدتك بها سابقاً.»

«انني جائع منذ الان، فالطعام هنا ليس بشهي.»

دفعها برفق امامه لتخرج الى الممر حيث مكتب الاستعلامات يعج بالممرضات. اثنتان منهن تقرأن دفاتر الملاحظات والباقيات تتسامرن.

بقي ممسكاً بها حتى وصلا إلى المصعد عندها انزل يده، وبقي صامتاً.

سارا باتجاه موقف السيارة، وبهدوء جلست في مقعد السائق، وأغلقت الباب وراءها.

اشار لها عن وجهة السير لتصل إلى البيت، وتبعت ملاحظاته بصمت كلي، لقد كانت تفضل البقاء صامتة على فكرة جدال جديد معه.

عندما أوقفت السيارة أمام المبنى، التفت باتجاهها وقال: «اسمعي هل نستطيع أن نوقع هدنة؟ لن نجني شيئاً من جدالنا القاسي مع بعضنا البعض، أليس كذلك؟»

قالت وهي تتنهد: «أعتقد ذلك.»

«لنتصافح.»

www.elromancia.com

مدت يدها لتصافحه، وشعرت بالدوار كأن هناك تيار كهربائي بينهما. نظرت إلى عينيه وقالت: «لا تفعل.»

سألها بلطف: «لا أفعل ماذا، يا ماري؟»

شعرت بجفاف حلقها وقالت: «فقط، لا تفعل.»

«لما لا؟»

قالت بصدق: «لأنني لا أستطيع تحمل الأمر.»

كان يرغب بتقبيلها، فالرغبة كانت موجودة في عينيه، وكانت تعلم أنها لن تتحمل أن يلمسها، فالأمر يرعبها لأنها تعلم ماذا سينتج عنه، حب وعاطفة وشوق، وكل هذه الأمور تريد أن تبقيها لنفسها، أسراراً تعذبها وتعلم أنها لا تستطيع المشاركة بها والا ستخسر كبرياءها وكرامتها بالمحاولة.

ترك يدها وابتعد ثم قال غاضباً: «حسناً، ولكن عندما نتزوج، لن تصبحي زوجتي بالاسم فقط.» نظر إليها بقسوة: «سنعيش معاً ككل المتزوجين.»

سألته: «هل هذا أمر، يا هولدن؟»

أغلق باب السيارة ونظر إليها بغضب: «انه وعد بأمور لا بد أن تحدث.»

سارا معاً باتجاه مدخل المبنى، ولمحته بنظرة سريعة. كان لا يبدو عليه اطلاقاً انه عاد لتوه من المستشفى، كان يبدو قوياً ومليئاً بالحيوية كما هو دائماً، وشعرت بقلبها يخفق بقوة من أن هذا الرجل سيصبح زوجها، فتح الباب الزجاجي، ومرت من أمامه.

قالت لتسيطر على احساسها ولتكسر الصمت بينهما: «اتمنى ألا تتوقع الكثير من الطعام الشهي في هذا الغداء.» لقد كان على صواب، فما الغاية من الجدل على الدوام؟

عليها أن تتصرف كامرأة بالغة، مسيطرة على انفعالاتها، بدلاً من تصرفات مراهقة عصبية.

تابعت مع عدم رده: «لا أجيد الطهي في بيوت الآخرين.»

قال متجاهلاً كلامها ومحدقاً في عينيها عندما وصلا إلى باب المصعد: «أعلم انك تريدينني.»

فتح الباب ودخلت بسرعة، لم تنظر إليه، بل راحت تتلهى بلائحة المصعد، عدد الطبقات، اشارة الدخول والخروج، كانت تحاول أن تنسى كلياً الاحساس الذي كانت تعانيه.

شدها صوبه لتنظر إليه وقال: «ردي علي.»

أبعدت نظرها عنه وقالت بيأس: «لا أريد التحدث عن هذا الموضوع.»

«لما لا؟»

«لأنه، لا جدوى من هذا الحديث.»

فتح باب المصعد، خرجا وهو يقول بغضب: «لن أسمح لك بممارسة هذه المشاكسات العنيفة علي بعد الزواج.»

فتح باب الشقة وأغلقه بغضب بعدما دخلا.

قالت بحزن: «كل ما نفعله هو الخصام، ما الغاية من هذا الزواج إذ لا نفعل شيئاً عندما نتقابل سوى الصراخ بوجه بعضنا.»

تمتم: «أنا دائماً مسيطر على كل ما حولي، ولكن في اللحظة التي أقترب منك...»

قاطعته بخشونة: «ليس عليك أن تكمل، لقد فهمت الأمر جيداً.»

تقدمت نحو الطاولة في وسط الغرفة ووضعت الأكياس عليها.

www.elromancia.com

قالت بهدوء: «لا نستطيع الخصام طوال الوقت، سيكون الأمر كالكارثة بالنسبة لهاتي.»

قال ببرودة: «طبعاً.» واتجه ناحية المطبخ فلحقت به.

كان المطبخ مناسب مع كل الشقة، كل مافيه يلمع وذات مزيج من اللون الأسود مع كل الالمنيوم، ومليء بكل الآلات الحديثة، حدقت به وقالت بانذهال: «يبدو كأنه لم يلمس، هل استعملته يوماً؟»

قال: «بالطبع استعمله.» وسار باتجاه الثلاجة وقدم لها كوباً من العصير الطازج، وتابع: «خادمي ماهر جداً في فن الطبخ.»

قالت بدهشة: «خادمك؟ لديك من يطبخ لك؟»

«كما أنه يقوم بتنظيف الشقة، ويتأكد من كل ما أحتاجه، هاتي ستحبه كثيراً، فلديه عشرة أحفاد، وهو مولع بتسلية واختراع ألعاب للأطفال.»

«وهل هو مسؤول عن هذا العصير الطازج؟»

أومأ هولدن: «يأتي كل يوم ليتأكد من أن كل شيء جاهز لحين عودتي.»

«أمر بالغ الأهمية.»

«انه يقبض جيداً لكل ذلك.»

قالت بهدوء: «أعتقد أنه كان يرغب في أن يعد لك غداء شهياً اليوم أيضاً.»

ابتسم وقال: «أعتقد انه يفعل، ولكني لم أقاوم فكرة تناول طعام تحضرينه بيديك الماهرتين، على الرغم من أنه طاه متمرن، ولكن في الحقيقة، أسأله أن يحضر الطعام لي عندما أدعو زبائن أو ضيوف إلى البيت، أما إذا كنت أريد

شيئاً أسهل، إما أحضره بنفسي أو أتناول طعاماً جاهزاً.»

سار باتجاهها وقال بذات اللهجة: «أفضل؟»

كان قريباً منها جداً فنظرت إليه لتسأله.

«أفضل؟ ماذا تعني بذلك؟»

جال بعينيه عليها بسرعة ثم حدق بعينيها: «حديث مؤدب، لا جدال... ولا لمسات.»

احمرت خجلاً للحال وتلعثمت وهي تقول: «الجدال ليس بأمر جيد.» كانت ملاحظتها سخيفة ولكنها لم تستطع التفكير بشيء آخر لتقوله.

قال بسرعة: «والآن، أرغب بالاستحمام، فاذا كنت ترغبين بالطهو، كل شيء أمامك واضح وجلي.»

نظرت حولها بقلق وقالت: «هل أنت متأكد؟ أشعر وكأنني بحاجة إلى دراسة لاتمرن على استعمال كل هذا.»

ضحك بسخرية، ونظر إليها بسعادة جعلتها تشعر بالدوار. فقد أخبرته أنها لا ترغب بخصامه وأن ذلك غير ملائم لهاتي ولكن في الحقيقة تشعر بالأمان عندما يتخاصمان.

نهضت عن كرسيها، حدقت بالفرن والمشواة كل شيء يلمع وكأنه وصل للتو من المخزن.

قالت وهي تدير وجهها لتراه يحدق بها: «أعتقد اني أستطيع تدبر الأمر، إذا لم أحرق كل شيء.»

ضحك وقال: «أحب كثيراً المقانق محروقة.» وخرج من المطبخ.

دخلت إلى غرفة الجلوس لتحضر الأكياس من هناك.

رتبت طاولة المطبخ أولاً، التي كانت سوداء اللون،

www.elromancia.com

مناسبة مع كل التجهيزات في المطبخ، ثم بدأت تبحث بالخزانة. وأخيراً وجدت الصحون، الأكواب، أدوات الطبخ، الكل غالٍ جداً ونفيس بعكس الأدوات التي اعتادت عليها في مطبخ عمتها.

بدأت بالطبخ، وضعت المقانق على المشواة، قشرت البطاطا ووضعتها على النار لتنضج. وجهزت الفاصوليا لتضعها في صلصة غنية بالتوابل.

ووجدت نفسها سعيدة بالعمل، لم يكن هناك أي قلق بسبب هاتي، والآن لا ترغب بالتفكير بهولدن أو بالزواج ومشاكله التي ستنتج عنه.

بدأت تحضر الحساء وهي ترنم، ولم تشعر بدخول هولدن إلى المطبخ حتى تكلم من فوق كتفيها: «رائحته شهية.»

لم تنظر إليه وقالت: «لم يكن عليك أن ترى ما أعمل، هذا سيلغي المفاجأة.»

قال: «انها ليست بمفاجأة.»

جلس أمامها إلى الطاولة ليتمكن من رؤيتها.

نظرت باتجاهه لترى انه يرتدي قميصاً زرقاء اللون وبنطال من الجينز.

سأل بحشرية: «هل ما زلت على اتصال بأحد من أفراد طاقم الباخرة؟»

نظرت إليه بدهشة: «ما الذي دعاك إلى هذا السؤال؟»

هز بكتفيه وانتقل إلى مكان آخر في المطبخ وهذا ما جعلها تشعر بالارتياح، لأنها بذلك لا تراه دائماً أمامها.

قال ببطء: «أعتقد لأنك تغيرت كثيراً عما كنت عليه. آه،

أحياناً ألمح ومضات عن تلك الفتاة التي كنت أعرفها، ولكنك مختلفة بطريقة ما، لديك ثقة بنفسك أكثر.»

قالت بمرح: «أنت تعني أنني أبدو أكبر بعشر سنوات من عمري.» وانحنت لتقطع البصل والبندورة للصلصة.

«أنت تعلمين أن ليس هذا ما أقصد.»

«حسناً، اجابة على سؤالك، لا، لم أعد أتصل بهم أبداً، أحياناً تتصل جيسكا بالمناسبات ولكنني أفضل...»

قاطعها وأكمل: «أن تبقي هذه الفترة من حياتك منسية، وأن تتظاهري وكأنها ليست موجودة؟»

وافقته: «تقريباً، شيء من هذا القبيل.» مسحت يديها بالمئزر، وأضافت المواد إلى الحساء، لم تكن تنظر إليه ولم تر تأثير كلامها على وجهه.

لم يقل شيئاً، ولكنها كانت تشعر بعينيه تراقبانها وهذا ما كان يربكها.

شعرت بالراحة عندما بدأت تسكب الطعام وتضعه على الطاولة لأن هذا كان يلهيها عن سؤاله.

جلسا وشعرت بالارتباك عندما أبدى استحسانه للطعام، وراقبته بفرح مكتوم عندما أضاف المزيد.

تحدثا لفترة عن هاتي، فيجب أن تبقى في المستشفى لمدة أطول بعد، بسبب أنهم يريدون التأكد أنها لن تتعرض لأي سوء وهي تتماثل للشفاء، كما أنهم يريدون أن يتابعوا مدى تجاوبها للأنسجة الجديدة التي زرعت لها وهذا يعني اجراء فحوصات دائمة.

قال هولدن بتكاسل: «وهكذا باستطاعتك التوقف عن الخوف، فهذا أمر طبيعي بعد عملية جراحية من هذا النوع.»

www.elromancia.com

لو كانت في وضع عادي لكانت رغبت في الجدال والنقاش حول هذه المسألة ولكن عوضاً عن ذلك، ابتسمت له وفكرت كم هو واثق من كلامه، فقد كان يسعدها أن تتشارك وإياه في مخاوفها، وبطريقة غامضة كانت تثق بكلامه.

سمعت نفسها تسأل: «لماذا لم تتزوج حتى اليوم، يا هولدن؟»

كان يبدو سؤالاً منطقياً، ونظرت إليه منتظرة الجواب ولكن كان يبدو وكأنه يفكر، حتى أنها للحظة، فكرت أنه لن يجيب، وبدلاً من أن تتراجع عما قالته رفعت نظرها اليه بتحد.

قال بتأن: «تريدين سماع قصة حياتي؟» أومأت بالايجاب فتابع: «بهذه الحالة، علينا الانتقال إلى غرفة الجلوس، فهي مريحة أكثر للتحدث عن قصص الحياة فيها.»

نهض، وعندما وقفت لتلحق به شعرت بالقلق، ودخلا غرفة الجلوس، جلست بجانبه بينما كانت الشمس ترسل أشعتها من وراءهما، وتملأ الغرفة بالنور والحرارة، مما جعل المفروشات تبدو متناسقة وأقل ضخامة.

تمتمت: «اخبرني قصة حياتك، من فضلك.» اسندت ظهرها إلى الوراء وأخذت تحدق به من تحت رموشها. نظر إليها بفرح وأجاب:

«حسناً، الجواب المختصر لسؤالك، انني لم أشعر مرة بالرغبة في الزواج، فوالدي مطلقان، والطلاق أمر كريه تقع نتيجته عليك، ولا أعتقد أن الأولاد يكونون بحالة من الدفاع المنيع لمواجته.» توقف عن الكلام ونظر إليها، كانت تضع يديها تحت رأسها وتصغي باهتمام.

تابع: «لم أتكلم عن حياتي الماضية مع أحد.»

«أنت كتوم جداً، أعلم ذلك.»

ضحك وقال: «تعجبيني كثيراً عندما تكونين هكذا.» كان هناك دفء في عينيه جعلها تضطرب.

قالت: «إنك تحاول أن تغير الموضوع.»

«هل هذا ما أفعله؟»

«نعم تغيير الموضوع، أستطيع قراءتك كالكتاب المفتوح.»

قال بنعومة: «هل حقاً تستطيعين؟»

«إذاً أخبرني.»

«حسناً، ما رأيك بهذا كبداية؟ لم أحترم والدي يوماً.»

توقف وكأنه يتردد في الكلام، لكنه تابع: «كان انساناً ضعيفاً ولم يكن يستطيع مقاومة أي وجه جميل، وكان مبذراً، ولقد فهمت ذلك جيداً منذ طفولتي، وما زلت أتذكر أمي، كم كانت تمدح صفاته أمامي وأنها كانت مغرمة به وكانت تقول انه رائع ومرن ولكن هذه الصفات لم تدم طويلاً. فقد كان يبدد المال كالماء ولقد تركنا قبل أن أبلغ العاشرة من عمري، وقبل أن نعي الصدمة التي شعرنا بها بفقده أنا وأمي، اكتشفنا سبب خيانته، لقد خسر كل مال العائلة، وأعمالنا لم تسر على ما يرام ذلك لأنه لم نجد من يديرها بطريقة مثلى، ولذلك اضطررت أن ألتحق بمدارس حكومية، وهذا الأمر لم يزعجني ولكنه أزعج أمي كثيراً.»

قالت بصوت رزين: «بالطبع، أزعجها الأمر، فخسارة الوضع الاجتماعي ليس بالأمر السهل، أستطيع تخيل الأمر.»

www.elromancia.com

أصبح وجهه أقسى وتابع: «اشتغلت ليلاً ونهاراً حتى وصلت إلى الجامعة، وبدأت أبني الامبراطورية التي هدمها والدي حجراً بعد حجر. بينما أصدقائي كانوا يتزوجون، وينشئون عائلتهم، متخليين عن طموحاتهم من أجل حياة عائلية هانئة، التي لم أكن أؤمن بها، كنت أعتبر الزواج حال موقته، أو سريعة الزوال. والذي يدوم هو التمسك بالعمل والمال، فبامكانك الاعتماد على عملك أكثر بكثير من الاعتماد على أي شخص في هذا الوجود.»

نظرت ماري إليه بتفهم فالذي قاله لها يتضمن الكثير من شخصيته، فحاضر الانسان هو نتيجة أكيدة لماضيه، فهولدن تعلم القوة والسخرية منذ طفولته، والماضي هو الذي جعله اليوم، قاسٍ، مصمم، ولا يرحم.

زالت كل التعابير عن وجهه عندما نظر إليها، وعلمت أنه يريد التأكد من أنها لا تشعر بالشفقة نحوه.

قالت بخشونة: «أتمنى ألا أكون أثرت فيك البكاء.»

هزت رأسها نافية وتمتمت: «بالطبع، لا.» وكانت تعني لا يعقل أن أحس بالشفقة على انسان مثلك.

وقف فجأة وأخبرها أنه يريد أن يعيد تنظيف المطبخ إلى ما كان عليه وتابع: «يوجد آلة لتنظيف الصحون في المطبخ ولكني لا أعلم كيف أستعملها.»

قالت ماري: «سأساعدك.» وبدآ بالعمل معاً بتنظيف الطاولة وكانت تفكر هل يندم على فقدانه الثقة بما حوله.

ارتدت المئزر وبدأت بالتنظيف وباعادة كل شيء إلى مكانه. قالت براحة حين انتهت وهي تضع الاسفنجة مكانها: «أنا أفضل بكثير من آلة تنظيف الصحون.» ورفعت نظرها

إليه لتجد أنه لا يبتسم لها بل ينظر إليها بهدوء وتمتم: «تبدين رائعة للغاية.»

بعد قليل، بينما كانا يشربان القهوة في غرفة الجلوس.

قال: «هل مضى ثلاث سنوات على تعارفنا يا ماري؟ قبل اليوم كنت أعتقد أنها منذ زمن طويل جداً، أما الآن فتبدو كأنها البارحة.»

شعرت بالخجل والحرج، فالعاطفة والشوق اللتين تعاني منهما لم يشعر بهما أبداً.

همست وبصوت كله انكسار: «انه أمرٌ مريع، لا أستطيع الزواج منك هولدن، أفعل كل شيء من أجل هاتي، كل شيء الا هذا.»

كان صوته قاسياً حين سألها: «عما تتكلمين؟»

قالت بضعف: «أعلم أن هاتي سوف تستفيد من كل ما يقدمه جو العائلة لها ولكن لا أستطيع الزواج منك، انني منجذبة إليك، لن أنكر الأمر، ولكن زواجنا سيكون فارغاً وكلما حاولنا أن نصلحه سينتهي بنا الأمر إلى الجدال وكره بعضنا البعض.»

نظر إليها وعيناه تلمعان بحدة: «أنت لا تعلمين عما تتكلمين.»

«لا أستطيع مواجهة الأمر، يا هولدن.»

ردد ما قاله وكانت عيناه تتقدان غضباً: «أنت لا تعلمين عما تتحدثين!»

نظرت إليه وهمست: «كيف تستطيع الزواج من امرأة تكرهها؟»

أجاب بسرعة: «أنا لا أكرهك، حسناً أعترف أنني كرهتك،

www.elromancia.com

ولكن، ما الذي تتوقعينه؟ لقد سمعتك تتكلمين عن الرجال الأغنياء كفرصة تحاولين الحصول عليها، ولقد أخبرتني أنك خرجت معي من أجل رهان ما... ماذا تتوقعين؟»

حدق بها وشعرت كأن نظرات عيناه تحرقانها وتابع: «أمضيت ثلاث سنوات غاضب منك، وعندما دخلت مكتبي طالبة التكلم معي، لم أكن في حالة من التسامح، ولكن لم أكرهك، فاحساسي بك منذ اللحظة الأولى كان صحيحاً، استعملي عقلك يا ماري، لو أنك باحثة عن الثراء لكنت أسرعت إلي لحظة علمت أنك حامل، وبذلك حصلت على الزواج الثري. بقدر ما أكره أنك لم تخبريني عن هاتي بقدر ما أتأكد أنك لست كما حاولت أن تقنعيني به.»

قالت: «حسناً، انك لا تكرهني إذاً.» وسألت نفسها بمرارة، ولكنك لا تحبني أيضاً، أليس كذلك؟ وتابعت: «لقد كنت مخطئاً بشأن ما سمعته. لقد كنت أتحدث مع جيسكا، وكانت تتكلم عن الرجال الأغنياء، ولكننا كنا نمزح، وبالكاد كنت أسمعها، فلا واحدة منا كانت تعرف أحداً من اولئك الرجال في الباخرة، كما تخيلت الأمر، فكل طاقم السفينة كان يؤلف القصص عن المسافرين وكل ذلك لتمضية الوقت، لم أهتم بك أبداً من أجل مالك، وما كنت علمت أبداً، لو لم تخبرني بنفسك أنك غني.»

كان هناك جو من التفاهم المنتظر يسود الغرفة ولكنه لم يشعر به قال: «إذاً أين هي المشكلة؟ انضجي، يا ماري، أنا لست برجل معتاد أن يتحدث عن عواطفه ولكنني فعلت وأنت اعترفت بنفسك أنك تريدينني، وأنا أيضاً أريدك، فأين هي المشكلة؟»

أدارت وجهها وقالت: «لن أستطيع الزواج منك.»

قال بسرعة: «ولا من أجل هاتي؟»

هزت رأسها بيأس: «سيكون أمراً عقيماً.»

«حسناً، هكذا إذاً.»

كانت تعرف في قرارة أعماقها أنها من دون حبه لن يكون هناك غاية من زواجهما مع كل الشوق الذي تعانيه له.

قالت بضعف: «لن ينجح زواجنا.»

نظر إليها ببرودة وقال: «كفى، لقد تكلمت ما فيه الكفاية، اني راحل، سيتصل بك محامي ليحدد لي موعداً لزيارة هاتي.»

خرج من البيت واغلق الباب وراءه بقوة، فارتمت على المقعد تبكي للمرة الأولى منذ لقاءهما الثاني.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

كانت هاتي تجلس في سريرها، وترسم صورة للعائلة هي وماري وعمتها. جلست ماري تراقبها وتبتسم للاشكال التي ترسمها من خيوط طويلة ودوائر واشكال غريبة. كانت قد رسمت عدة رسومات ووضعتها في مكان بجانبها طالبة من أمها ان تأخذها معها إلى البيت.

قالت وهي تركز على ما ترسم: «لقد رسمت واحدة للممرضة جيني، وهي ترغب ان تعلقها في غرفتها.»

نظرت ماري إلى طفلتها الصغيرة بشعور غامض من الحب والحزن معاً على الجو العائلي التي كانت ستنعم به والذي تبخر الان.

قالت هاتي وهي تنظر إليها: «مامي، احتاج إلى لصاق جديد، على ذراعي انظري؟» واشارت إلى نمشة صغيرة على يدها.

قالت بهدوء: «تبدو بخير بالنسبة لي.»

كانتا تجلسان هكذا منذ نصف ساعة يتسامران بينما كانت ماري تعيد في مخيلتها كل ما جرى معها في لقاءها الأخير مع هولدن. كانت تعلم ان اعادة الأمر لن يجعلها تشعر بالراحة. ولكنها لم تستطع تغيير الأمر. لقد ظنت ان عذاب ثلاث سنوات كافية لتدافع عن نفسها، ولكنها علمت كم كانت مخطئة. والاسوء من هذا كله، الحب القوي السابق الذي اصبح اقوى الآن وذلك بسبب

نشوء صداقة عميقة بينهما من خلال تعاملهما الحالي.

انتقلت هاتي من الاهتمام بذراعها الآن إلى الاهتمام بحصانها الصغير والتي كانت ترغب في وضع لصقة له. لانه وقع على الأرض ولقد اخبرتها الممرضة جيني انه لا بد تعرض لبعض الجروح. رفعت الحصان لتعاينه ماري.

قالت: «حسناً، حسناً، سأجلب له لصق معي في المرة القادمة.»

ضحكت ماري وعادت هاتي ترسم صورة أخرى، منظراً لمجموعة من الحيوانات، اشكالاً غير معروفة والتي كانت تسميهم، بقرة، كلب ودجاجة.

كانت ماري توافق على كل شكل فوراً والذي كان يلاقي راحة من افكارها المحزنة. وبالكاد سمعت الباب يفتح من وراءها. لم تنظر ظناً منها انها احدى الممرضات. ولكن لم يكن الأمر كذلك. صوت هولدن هزها بقوة. وببطء استدارت لتراه.

رمت هاتي القلم من يدها ونظرت إليه بعينين واسعتين من الفرح. راقبت ماري المنظر من تحت رموشها. كان يحمل علبة معه قدمها لهاتي، كانت تركيب صور لحيوانات في المزرعة مؤلفة من عدة قطع كبيرة. ابدت هاتي اهتمامها بها بفرح، وهذا ما زاد من شعور الألم لدى ماري مع ان هولدن لم يلتفت نحوها بل كان يركز كل اهتمامه على ابنته.

قال: «أنت ترسمين. هل استطيع ان القي نظرة؟»

اعطته هاتي كومة الورق واخذ ينظر اليهم باهتمام وكأنه يفهمهم جميعاً.

www.elromancia.com

سألته هاتي: «هل عرفت كل الحيوانات؟»

قالت ماري لتساعده: «اراهن انك عرفت كل من البقرة، والكلب والدجاجة.»

ولأول مرة نظر باتجاهها وكانت ملامح وجهه غير مفهومة.

قال وهو ينظر نحو هاتي: «بالطبع عرفتهم كلهم.» وبدت هاتي فخورة ومعتزة بنفسها.

اراحت هاتي رأسها على الوسادة واغمضت عينيها، لم تكن بحالة تستطيع فيها ان تقفز وتلعب بحيوية بعد، ولكن الطبيب اخبر ماري انها تتقدم باستمرار وانها ستغادر المستشفى بسرعة اكثر مما كانوا يتوقعون.

سألت هولدن الذي كان ينظر اليها بعاطفة: «هل تخبرني تلك القصة؟»

قال: «لدي قصة أخرى انها قصة ولد صغير عاش حياته في قصر كبير، هل اخبرك بها؟» اومأت هاتي بالايجاب وبدأ يخبر قصته عن بيت كبير امامه حوض واسع، وطفل صغير عاش فيه وكان لديه بطة يرعاها. استمر في الحديث حتى اصبح تنفس هاتي خفيفاً ومنتظماً.

استمر هولدن في الكلام، من غير ان ينظر إلى ماري، صوته كان عميقاً وبطيئاً.

قال لابنته التي اصبحت في سبات عميق: «وفي احد الايام، ذلك الطفل الصغير الذي اصبح رجلاً الآن، تأكد انه لا يعلم كيف يحب.»

نظرت ماري إليه بحدة وقالت بصوت حاولت قدر الامكان بقاءه هادئاً: «لا اعتقد انها تستطيع سماعك.»

تمتم: «ارغب في اكمال القصة بكل الاحوال، اعتقد انك ستهتمين للأمر حتى ولو لم تفعلي...» نظر إليها باصرار وتابع: «يوجد مقهى في الطابق الأول من المستشفى.»

سارت معه إلى المقهى وهي غاضبة. فما هي القصة التي يرغب في اكمالها؟ ولما عليها ان تهتم بها؟ لقد نجح في تدمير حياتها مرتين على التوالي، فما الذي يرغب به بعد؟

سألته حين جلسا: «حسناً؟ عما تريد ان تحدثني؟»

ارتشف هولدن رشفة من فنجانه وقال بهدوء: «هناك قصة علي اكمالها، قصة رجل كان يعتقد انه يعرف كل شيء.»

«وذلك الرجل هو انت؟»

«ومن سيكون غيري.»

قالت ماري: «لا ارغب بالسماع.»

قال برصانة متجاهلاً كلامها: «عندما التقينا للمرة الأولى، شعرت وكأنني اصبت بشيء كبير جداً. فقد كنت مختلفة تماماً عن كل النساء اللواتي كنت اعرفهن.»

اخذت ماري رشفة قهوة، وقلبها يخفق بقوة.

تابع: «في البداية، شعرت ان ذلك ممتع جداً، شعرت كمن امضى حياته على نوع واحد من الطعام المترف الغني، ليجد انه يرى للمرة الأولى شيئاً ابسط واجمل ويجد ان رغبته في ذلك الأمر اقوى بكثير من كل ذلك الطعام المترف الذي كان يقدم له. هل تفهمين ما اعني؟»

اومأت ايجاباً.

«تركت شقتي الآن لأنه كان علي التفكير.» تنهد ونظر إليها بحيرة وتمتم: «اقتربي قليلاً، واسمعيني جيداً.»

اقتربت ماري وهي تفكر انها لا تفعل ذلك الا لتتمكن من سماعه بدلاً من التشويش في اذنيها.

قال وكأنه يتهمها: «كنت افكر بك ليلاً نهاراً، واجلت رحيلي من الباخرة، مع انه كان هناك الكثير من العمل بانتظاري هنا في لندن. لاحظت أمي الأمر وبدأت تقدم لي محاضرات عن الفتاة التي يجب ان اختارها، وعنك بأنك غير مناسبة لي.»

أومأت ماري وهي تستعيد تلك الفترة: «نعم، لقد سمعت عدة ملاحظات بذلك بنفسي.»

«مسكينة انت، أمي تصبح عنيفة جداً عندما تسيطر عليها هذه الأمور، كان عليك اخباري بذلك.»

«اطلاقاً، كنت اعتقد انني استطيع تدبر الأمر.» ما عدا ان السيدة غراي ستون حاربتها بما لا تستطيع الدفاع به عن نفسها واحتقرتها بسبب اصلها الوضيع ومنذ تلك اللحظة وهي تتألم.

«قبل ان اتعرف إليك، كنت اجد تدخل أمي مثيراً احياناً، واحياناً مسلياً، وكنت اعلم انها تفعل ذلك بسبب طبعها المتحفظ وبعد ذلك رأيتك. اغرمت بك منذ اللحظة الأولى. هل تعلمين ذلك؟ لقد اصبحت كالهواء لي. وفي هذه المرة، عندما قررت أمي التدخل لم اجد الأمر مسلياً او مثيراً، كنت غاضباً جداً. ولكنها استمرت في المحاولة مراراً وتكراراً.»

أومأت ماري بشجاعة، اعصابها كانت مشدودة بعنف ولكنها لم تكن تبالي.

تابع: «لقد اخبرتها ان ليس لدي أي نية في أن أبدي ادنى موافقة لأي شيء ستقوله عنك.»

قالت بحدة: «ماذا؟» وتذكرت نفسها في الباخرة وهي تقف وراء ذلك الباب المفتوح وهي تستمع لذلك النقاش الذي اصابها باليأس والمرض.

قال بتأثر: «ماذا حصل لك؟» واقترب منها ممسكاً بذراعيها.

تمتمت: «لقد كنت حمقاء.» وغطت عينيها براحتيها «لقد فكرت...»

«ما الذي فكرت به؟ لا استطيع فهم ما تقولين.»

سألته بضعف: «متى حدث ذلك النقاش؟ لا اعتقد انك تتذكر لقد مر وقت طويل على ذلك.»

قال هولدن: «اتذكر بالتحديد، ذلك انه جرى في الليلة السابقة التي سمعت ذلك النقاش بينك وبين صديقتك في ذلك اليوم الذي اخبرتني به انك ما خرجت معي يوماً لولا شرطك فشعرت بغضب مدمر، كنت ارغب بقتلك، كنت اعتقد انني اعرفك جيداً، ولكن كما ترين، كنت مخطئاً.»

كان هناك صمت لفترة. حاولت ماري ان تجمع افكارها المشوشة.

تابع بصوت خفيض جعلها تقترب اكثر لتسمع: «لقد امضيت ثلاث سنوات وانا احاول نزعك من افكاري ومن ضمن تلك المحاولات خصام كبير مع أمي التي لم تفهم لما انا غاضب مع ان علاقتنا انتهت. واعتبرت ان رأيها كان حاسماً بشأنك حتى اخبرتها انني ما زلت افكر بك وليس هناك من غاية بالتعرف إلى غيرك لأبعدك عن افكاري. لم اخبرها قط انني اكتشفت انك كنت تسعين وراء مالي. لم استطع تحمل النصر الذي ستشعر به، والأهم من ذلك، لم

استطع تصديق ذلك بنفسي، لقد كرهتك لأنك ازحت الغطاء عن عيني، وكرهت نفسي اكثر لأنني لم استطع نسيانك مع انني اعلم ان هذا ما يجب علي فعله.»

«لم تستطع نسياني؟»

رماها بابتسامة حزينة وقال: «أمر مؤسف، أليس هذا ما ستقولينه؟»

قالت ماري وهي تخفض نظرها: «لم افكر قط اننا مناسبين لبعضنا، ولم ارغب ان اصاب بالألم. لقد كنت مغرمة بك.» نظرت إليه وقالت بسرعة: «لا، ليس هذا كل شيء.» فكرت ماذا سيقول عنها اذا عرف انها كانت تتنصت إلى حديثه مع أمه؟ تابعت بحزن: «لقد سمعت ذلك النقاش مع أمك. وحصلت على انطباع انك تستغلني وان ليس لديك أي نية في تطوير علاقتنا لأكثر من مجرد مغامرة عابرة. في تلك الليلة، اتيت لاراك ولو لدقيقة، وكنت تتجادل مع أمك بسببي. ما كان علي البقاء ولكني لم استطع. بقيت وسمعت ما دار بينكما حتى اقفل الباب و...»

قال بنعومة: «والذي لم تسمعيه، اخترعته بنفسك.»

دافعت عن نفسها بصوت حار: «ما الذي كنت تتوقعه؟ لقد كنت غنياً، واثقاً ولقد علمت ان علي الابتعاد عنك من أمك. وبالطبع علمت انك ستتخلى عني لحظة تشعر ان علاقتنا اصبحت مملة لديك. لقد اصبت بالرعب عندما فاجأتني مع جيسكا في ذلك الصباح. وعندما اتهمتي بالسعي وراء مالك آلمني ذلك كثيراً، ولكنني كنت اشعر بألم اكبر وكنت غاضبة ومرتبكة. فقلت أول كلام خطر على بالي. كنت اريد ان تشعر بالألم الذي اعانيه.»

تمتم: «كان عليك شرح الأمر.»

«لم تكن لتسمع كلامي، كنت احس بذلك. واكتشفت بسرعة انك كنت تتوقع ان اعيش حياتي كما يحلو لك. لم ارد ان انتهي في ثلة من الركام مع النساء اللواتي تخليت عنهن.»

نظرت إليه بتمرد فابتسم لها ابتسامة جعلتها تشعر بالهدوء، قال بصوت اجش: «ايتها الفتاة الحمقاء. لا شك انك حمقاء.»

«لم تحبني يوماً.»

«لقد احببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.»

«ماذا؟»

تمتم قائلاً: «احبك. احبك. هل رضيت الآن؟»

تابع كلامه: «عندما دخلت إلى مكتبي ذلك الصباح، لم استطع تصديق الأمر، لقد امضيت ثلاث سنوات وانا اقنع نفسي ان وجودك يجب ان يكون حيث هو، بعيداً عن حياتي. دخلت الي عبر باب مكتبي الصغير وشعرت وكأنني استفيق من حلم طويل، وكرهت الذي يحدث لي كثيراً.»

قالت بتفكير: «اعلم، كان ذلك مكتوباً على وجهك. هل كان لديك أي فكرة كم كان علي ان استجمع من شجاعة، لأخبرك عن هاتي؟»

تمتم: «لقد كانت السبب في اعادتنا لبعضنا.» نظر حوله وقال: «هذا ليس بالمكان المناسب لاجراء مثل هذا الحديث.»

«انه مناسب تماماً، لا اريد التوقف عن الكلام والا كان هذا كله مجرد حلم.»

نظر إليها وهو يبتسم: «لا، انه ليس بحلم، يا عزيزتي.»

www.elromancia.com

سألته بحشرية: «ما الذي أتى بك إلى هنا في هذا الوقت؟»

ضحك وقال: «عندما اخبرتني انك لن تتزوجي مني، شعرت وكأنني ساصاب بالجنون.» اغمض عينيه وقال بعد قليل: «لا اصدق انني اقول كل هذا الكلام، لست من الرجال الذين يخوضون... في مثل هذا الكلام.» هز رأسه متعجباً وتابع: «لم افكر قط انني ساتزوج يوماً، ولكني علمت ان علي الزواج منك، وعلمت ان علي ان اخبرك انني احبك.»

«هذا هو كل ما اسعى إلى سماعه.»

«لقد طال بي الوقت لأعرف ذلك، شيئاً ما اخبرني انك لا بد ان تكوني في المستشفى. فقط كنت امل بألا اصل متأخراً.»

«اني احبك، يا هولدن غراي ستون، ولم اتوقف عن حبك لحظة واحدة. وعندما رأيتك ثانية بعد كل ذلك الوقت اكتشفت انني عدت إلى نقطة البداية.»

تمتم: «هذا أمر جيد، لأنني هذا ما كنت اشعر به بنفسي. كنت تقفين هناك، تنظرين إلي وكأنك لا تتحملين رؤيتي وتتصرفين كأنني شخص غريب وكل ما كنت افكر به انك اجمل أمر صادفته في حياتي كلها.»

تابع ببطء: «علمت في اللحظة التي دخلت فيها مكتبي، بعد ثلاث سنوات من البعاد، انك لا شك تريدين شيئاً مهماً. فكرت أنك تسعين وراء بعض المال وبدأت الأفكار التي بداخلي تصور لي مئات الطرق لجعلك تدفعين ثمن عذابي ولكن عندما أخبرتني عن هاتي، أظلمت الدنيا في وجهي.»

قالت وهي تضحك: «ليس عليك أن تذكرني بالأمر.»

«ولكن بالنهاية علمت أن هاتي أعادتك الي، لأنني ما

زلت أريدك وأحبك. وبالرغم من اشمئزازي، كنت مصمماً على الحصول عليك، أنت وابنتنا.»

تمتمت: «كان عليك قول ذلك.»

«وأخاطر بعدم رؤية شكوكك، ولن أذكر غضبك وضحكك؟»

«ما كنت ضحكت أبداً.»

«وكيف لي أن أعرف؟»

«كان عليك أن تثق بي.»

نظرت إليه من تحت رموشها وابتسمت: «من حسن الحظ أن الأمور سارت بألف خير مع هاتي، وما زلت أقول لنفسي أنها الآن تسير نحو الشفاء التام. ولن أمضي حياتي والغصة في قلبي.»

قال: «أعتقد أنها بطريقة ما أعادتنا إلى بعضنا، كل ذلك بسبب سوء تفاهم سخيف وشكوك أبعدتنا عن بعضنا البعض.»

اقتربت منهما احدى الفتيات التي تخدم في المقهى وهي تحمل الصينية وتنظر إليهما بحذر.

قالت: «اترغبان بالمزيد من القهوة؟» وكأنها تقول ان كنتما لا ترغبان بذلك، فالأفضل أن ترحلا.

قال هولدن: «كنا نهم بالرحيل فوراً.»

سألته: «إلى أين سنذهب؟»

قال وكأن الأمر واضحاً كالشمس: «إلى جناح هاتي، أعتقد أن علينا انهاء الحديث هناك وعندما تصحو هاتي علينا اخبارها بما ينتظرها عندما تخرج من المستشفى.»

سالت بشوق: «وما الذي ينتظرها؟»

قال: «أم وأب. وبيت في الريف.»

«لديك بيت في الريف؟»

«كلا، ليس لدينا، ولكن سيصبح لنا بيت في الريف، فلندن، كما تعلمين ليست بالمكان المناسب لتربية الأطفال.»

«ستترك كل هذه الحياة العملية في لندن من اجلنا؟»

تمتم بتكاسل: «انها تضحية كبيرة، أعلم ذلك وبالطبع تضحيات كبيرة بهذا الحجم تستحق المكافأة.»

ضحكت ماري وقالت: «بالطبع تستحق، أليس كذلك؟»

«سأطلب عروضاً بذلك حتى نجد ما يناسبنا.»

فكرت، كم هو رائع العودة أخيراً إلى البيت، بيتها هي وعائلتها وكل الحب الذي تعيشه.

تمت